

أ.د/ أحمد عارف حجازي

الوقف والإبداء في ضوء علم اللسانيات الحديث

الوقف والإبداء على
ضوء اللسانيات الحديثة

أ.د. أحمد عارف حجازي

الوقف والإبداع على ضوء

اللسانيات الحديثة

للمؤلف

أ.د/ أحمد عارف حجازي عبد العظيم

...

النشر

دار فرحة للنشر والتوزيع

320 عمارات العرائس - ش السودان - المهندسين

28 ش عدنان الماكي - المنيا

فاكس: 086/2336656

010/3182615 - 010/7000624

الإخراج الفني

قسم للتجهيزات : دار فرحة للنشر

رقم الإيداع : 2008/24881

التسجيل الدولي : 4-76-6063-977

طبعة / 2008 م



أ.د/ أحمد عارف حجازى عبد العليم

الوقف والابتداء

على ضوء

اللسانيات الحديثة

الناشر

دار فرحة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

...

**"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى
والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأصلح لي فني ذريتي ،
إني أتبت إليك وإني من المسلمين "**

صدق الله العظيم

سورة الأحقاف ١٥/٤٦

إهداء

إلى من ابتدأت منهما خلقاً وخُلُقاً

ولم أقف

أمي... أبي

مقدمة :

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن رب العالمين ، على مدى ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة ، وعشر سنين في المدينة النبوية المنورة . وقد قرأه جبريل عليه السلام على الرسول الكريم بلفظه ، فحفظه منه صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الهدف من نزول القرآن الكريم هو إبلاغه للناس كافة ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه لهم : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) .^(١)

وهذا التبليغ هو قراءته صلى الله عليه وسلم القرآن لصحابته رضي الله عنهم ، مع بيان تفسيره ، وأحكامه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ومحكمه ، ومتشابهه ، ومطلقه ، ومقيد ، ومكيه ، ومدنيه .

وإذا كان القرآن الكريم كتابا باللغة العربية ، فهذه اللغة رموز صوتية مكتوبة أو منطوقة للتعبير عن معان معينة ، وهي مكونة من فونيمات محددة Phonemes وجمل متولدة من هذه الفونيمات .^(٢)

وعند نطق أية لغة ، أو - بتعبير أدق - عند نطق أي كلام مكتوب بأية لغة ، فلا بد من قسم وأغوار في السلسلة الكلامية . وهو ما يسمى النبر Stress^(٣)

(١) من سورة المائدة ٦٧/٥

(٢) -N.Chomskyi, Sintactic Structure, .13

R . Fowler , An Introduction to a Transformational ; P . 3,4

-John Lions ,New Horizons,p.24

(٣) انظر : اللغة لفندريس ٨٧

كما أنه لا بد من شهييق وزفير أثناء عملية الكلام ، إذ للصوت لا يحدث إلا من ارتفاع هواء من الرئتين خارج الفم عبر الحنجرة والأحبال الصوتية وتجويف الفم أو الأنف.

من هنا فإنه لا تتصل الكلمات كلها في لتتلق بل لابد من الوقف عند كل مجموعة كلمات تكون معنى ما.

نأخذ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينطق كلمات القرآن الكريم كلها دفعة واحدة. بل كان يقف عند آخر بعض الكلمات وهو ما تلقفه الصحابة عنه وقرأوا به.

انقضى عصر للصحابة ، وجاء التابعون من بعدهم ، فقرأوا القرآن الكريم بوضع بعضهم بعض الأسس أو استنبط بعضها ؛ كي يسير عليها من يريد قراءته.

ثم جاءت خطوة أخرى ، وهي التكليف في قراءة القرآن الكريم وكيفية نطق ألفاظه وقراءاته سواء المتواترة الصحيحة منها أم الشاذة. ولما كانت كتب عرفت باسم كتب إعراب القرآن ومعانيه بذلك ، كما جاء بعضها في كتب الحديث ، وكتب التفسير.

واهتم بعض أصحاب كتب القراءات بموضوع الوصل والفصل ، ثم أقررت لهذا الموضوع كتب مستقلة. ومن ثم فقد قسموا الفصل إلى أقسام منها:

(حسن - تمل - كلف - قبيح).

وقد عرفوا الفصل بالوقف أو القطع ، وعرفوا الوصل بالابتداء أو الالتف.

ورأوا أن الوصل قد يغير المعنى المراد من الآية ففعلها إذا نطقت بالفصل عند كلمة معينة.

مثال ذلك قوله عز وجل:

(فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض).^(١)

فإذا وقفنا عند كلمة عليهم، نصير الآية جملتين:

الأولى اسمية منسوخة بأن، وقد أبهم التحريم فيها وأطلق.

والثانية فعلية، حددت التيه بأربعين سنة.

وأما إذا وصلنا المركب العددي (أربعين سنة) بالجملة الأولى، ثم

وقفنا بعده، نلتبداً جملة جديدة، فإن المعنى يتغير، حيث يتحدد هنا زمن

التحريم بأربعين سنة، على حين يطلق زمن التيه دون تحديد. والجميل في

الحالتين هي :-

أ- فإنها محرمة عليهم.

ب- أربعين سنة يتيهون في الأرض

ج- فإنها محرمة عليهم أربعين سنة.

د- يتيهون في الأرض.

ذلك هو ما تناوله بحثي هذا، ليرى كيف تعامل اللغويون العرب مع

هذا النص الكريم، وأثر الفصل والوصل في استنباط بعض الأحكام الفقهية

وتوجيه القراءات وفهم المعنى. وذلك في إطار النظرة اللسانية الحديثة، التي

تتعامل من منطلق فهم اللغة ودراستها لذاتها ومن أجل ذاتها^(٢)، دون

التدخل في تحسين الوصل على الفصل في موضع ما أو الفصل على الوصل

في موضع آخر. إذ ليس من مهمة الباحث اللغوي تفضيل استعمال لغوي

(١) من سورة المائدة ٢٦/٥

(٢) وهي مقولة للعالم السويسري فردينان دي موسير

F.De Saunure

انظر: علم اللغة العام ٢٥٣

Performance على استعمال آخر، بل تتجلى مهمته في وصف الواقع
اللفوي وتحليله - حسب المنهج الذي ارتضاه لنفسه مبدلاً.

وعلى الله قصد السبيل.

أ. ماحمد عارف هجازي



الفصل الأول

تعريف المصطلحات

لا يعتمد الفهم على مجرد نطق المتكلم لكلمة ما بل لابد من معرفة سياق الكلمة في الجملة ونفسية المتكلم والسماع وظروف الحديث الاجتماعية. وهذا الفهم هو للدلالة المترسبة في لذهن عند سماع الكلمة أو نطقها أو كتابتها وتتنوع هذه الدلالة (Semantics) إلى دلالة اجتماعية، وصرفية، ونحوية، وسياسية، ودينية، وإيحائية. (1)

وهنا أيضا دلالة لغوية ودلالة اصطلاحية لكثير من ألفاظ اللغة، والدلالة اللغوية هي أصل وضع للكلمة وتوجد في معاجم اللغة والدلالة الاصطلاحية هي ما يتفق عليها مجموعة معينة داخل إطار معين. وذلك كأن يصطلح أهل الفقه مثلا على إطلاق كلمة (الجامع) على تلك للمسجد الذي يجتمع للناس فيه للصلاة، وبخاصة يوم الجمعة، ويصطلح أهل المنطق على إطلاق الكلمة نفسها (الجامع) على الشئ الذي يجمع كل أفراد جنسه تحته، ويصطلح أهل الثقافة على إطلاق الكلمة ذاتها (الجامعة) على تلك المكان العلمي الذي يجمع بعض المعاهد والكليات؛ بأساتذتها وطلابها وإداريها ومبانيها.

أما المعنى اللغوي لتلك الكلمة (جمع) فهو ضم وإحصاء أجزاء متفرقة في نطق واحد. (2)

من هنا كان لزاما على الباحث أن يحدد مصطلحاته قبل البحث فيها وهذه المصطلحات - كما يفهم من عناوين الكتب التي تطقت عن هذا الموضوع - هي:

(1) انظر: الألفاظ 45-49

(2) انظر: غسان العرب (جمع) 678/1

أ- الوقف.

ب- الابتداء.

ج- القطع.

د- الانتزاع.

هـ- الموصول.

المقالة اللغوية لهذه الكلمات

أ- الوقف:

الوقوف ضد الجلوس، الوقف مصدر وقفت للذات، كلمتهم ثم أوقفت أي سكت بكل شيء تمسك عنه تقول أوقفت. (1) وعلى ذلك فالوقف ضد الحركة، وهو المسكون.

ب- الابتداء:

البدء فعل الشيء أول بدا به وبداء يبدؤه بداء وأبداه وأبتداه. (2) وعلى ذلك فالابتداء هو الأولية وهـ ضد الانتهاء.

ج- القطع:

القطع إبادة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا بوكلام قاطع نافذ، ومقطع كل شيء ومنقطعه آخره. (3) وعلى ذلك فالقطع هو الفصل.

د- الانتزاع:

الأنف المنخر - معروف والأنف: التعب النلول والتأنيف تحديد طرف الشيء وتأنيف كل شيء طرفه وأوله. واستأنيف الشيء وأنتفه أخذ أوله وأبتداه. (1) وعلى ذلك فالانتزاع هو إعادة البدء بعد انقطاع ما كان موصولاً.

(1) انظر: المرجع السابق (وقف) 4898/6

(2) انظر: المرجع نفسه (بدأ) 223/1-224

(3) انظر: المرجع نفسه (قطع) 3674/5-3677

هـ-الموصل:

وصلت الشئ وصلًا وصلّة، والوصل ضد الهجران، الوصل خلاف الفصل واتصل الشئ بالشئ لم ينقطع.^(١) وعلى ذلك فالوصل ضد القطع، وهو الاستمرار في الشئ.

من هنا نرى أن الدلالة اللغوية لكلمات الوصل والانتقال والابتداء تكاد تقترب لتوحي بالبدء والاتصال والاستمرار. وكذلك دلالة كلمتي الوقف والقطع هي الفصل.

الدلالة الاصطلاحية لهذه الكلمات

يحدثنا عنها اللغويون القدماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع سواء بالدرس أم التاريخ.

فالقسطاني يقول: "أما الوقف فقل أبو حيان في شرح التسهيل: هو قطع النطق عن آخر الكلمة عما بعدها. وقال الجعبري: قطع صوت القارئ على آخر الكلمة الوضعية زماناً".^(٢)

وهو بذلك يتعرض للمعنى اللغوي موازنًا بينه وبين المعنى الاصطلاحي، ويرجع بعض التعريفات على بعضها الآخر. ونلك هو ما فطه الأشموني حين قال إن الوقف "معناه لكف عن الفعل والقول، واصطلاحاً: قطع الصوت آخر الكلمة زماناً، أو هو قطع الكلمة عما بعدها، والوقف والقطع والمكث بمعنى وقيل القطع عبارة عن قطع القراءة

(١) انظر: المرجع نفسه (أنف) ١٥١/١-١٥٢

(٢) انظر: المرجع نفسه (وصل) ١٥٠/٦-١٥٣

(٣) لطائف الإشارات ٢٤٧/١

رأساء، والسكت عبارة عن قطع الصوت زمناً ما دون زمن الوقف عادة مسن غير تنفس".^(١)

على حين يرى أبو يحيى الأنصاري أن "الوقف يطلق على معنيين، أحدهما القطع الذي يسكت القارئ عنده، وثانيهما المواضع التي نص عليها القراء".^(٢)

ويقول السيوطي عنه:

"أفرده بالتصنيف خلاق منهم أبو جعفر النحاس، وابن الأثيري، والزجاجي، والداني، والعماتي، والمجاوندي، وغيرهم. وهو فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة".^(٣)

وهذا القول ليس تعريفاً للوقف أو وصفاً، بل هو سرد لمن ألف فيه من القدماء.

وإنملاحظ هنا أنهم قد عرفوا الوقف والقطع، دون أن يعرفوا الوصل والانتناف والابتداء. وكأنى بهم رأوا أن تعريف أحد المتضادين يغني عن الآخر، أي إن تعريف الوصل والانتناف والابتداء تعريف سلبى، تماماً كما فعل النحاة العرب في تعريفهم الاسم والفعل والحرف، حيث لم يأتوا بعلامات الحرف أو تعريف له سوى أنه لا يقبل علامات الاسم أو الفعل.^(٤) وهو ما يعرف في علم اللغة الحديث بـ أن ترك العلامة علامة في حد ذاته.

(١) منار الهدى ٨

(٢) المقصد ٤.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ٨٣/١

(٤) انظر: الكتاب ١٢/١ وشرح المفصل ٢١٨

وشرح السيوطي ١٨/١ وقطر الندى ٣٦، ٣٧ وتهذيب التوضيح ١٧/١

وقد رأيت أن هؤلاء اللغويين قد نكروا الوصل مقترنا
بـ (القطع) دون أن ينكروا (الفصل) مع أن الوصل مضاد للفصل. (١)
رغم اقتراب دلالة (الفصل) اللغوية بدلالة (القطع) و (الوقف). فقد
جاء في لسان العرب:

"الفصل بون ما بين الشئين عوبين كل فصلين وصل ، الفصل
الحاجز بين الشئين. وفصلت الشيء فاتفصل أي قطعته فانقطع". (٢)
من هنا يمكننا أن نقول إن الفصل هو الوقوف على جملة معينة أو
تركيب معين ينتهي عند أحد منهما المعنى.

أما الوصل فهو قراءة الجمل أو التراكيب ووصلها معاً كي ينشأ
معنى جديد مخالف للمعنى الذي وقفنا عنده ، أو مكمل له.

الوقف في غير القرآن الكريم

لا تتوقف دلالة الوقف على قطع القراءة فترة زمنية معينة ، أثناء
قراءة القرآن الكريم بل تتعدى إلى غير ذلك بحسب العلم الذي يستخدمها.

١- في الفقه:

الوقف هو منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها، مع
بقاء عينها ، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً. (٣)

(١) يذكر للسيوطي أنه عقد باباً في كتابه الإتقان في علوم القرآن تحت عنوان (بيان
الموصول لفظاً المفصول معنى).

وجعله أصلاً كبيراً في ... ، نونكلم فيه عن الوصل في بعض الآيات مع وجوب الفصل
مراعاة للمعنى. انظر: الإتقان ١/٩٠-٩١

(٢) لسان العرب (فصل) ٥/٣٤٢٢-٣٤٢٤

(٣) محاضرات في الوقف ٧

٣- في النحر:

هو السكون. (١)

وله معنى آخر يقترب من المعنى اللغوي، في كتب الوقف والابتداء، وهو وصل الكلام بعبءه ببعض، بأن يقف المتكلم على آخر الكلمة، وهناك طرق متعددة لذلك، منها الروم والإشـم والإبدال والتضعيف ونقل الحركة وهاء السكت وزيادة ألف. (٢)

٣- في العروض:

هو إسكان السابـع المتحرك، ويدخل بحر السريع والمنسرح فتصير (مفعولات) إلى (مفعولات) يسكون التاء، وتنقل إلى (مفعولان) وهو من علل النقص. (٣)

٤- في التصوف:

الوقفـة هي التوقف بين المقامين نقضاء ما بقى عليه من حقوق الأول، والتهيد لما يرتقي إليه بأداب الثاني، والوقوف الصادق هو الوقوف مع مراد الحق. (٤)

وهناك كلمتان تؤيدان معنى الوقف، مع اختلاف يسير في الدلالة

وهما:

أ- القطم.

ب- السكت.

(١) معجم مصطلحات النحر والصرف ٢، ٩ والإيضاح في علل النحر ٦٧ والكتاب ١٢، ١٧/١

(٢) معجم مصطلحات النحر والصرف ٣١

(٣) المرجع نفسه ٣١

(٤) اصطلاحات الصوفية ٧٥

فالقَطْع هو التوقف عن القراءة بـ عدم الرجوع إليها مباشرة في حينها بل بعد فترة زمنية معينة قد تطول ؛ ليبدأ قراءة جديدة بـمسئلة جديدة ولا يكون القطع إلا على رؤس الآيات.

والسكت هو التوقف عن القراءة فترة بسيطة جدا ؛ مع عدم التنفس في تلك الفترة بـ العودة بعد ذلك مباشرة للقراءة . وهذه الفترة لا تطول إلا بمقدار ثوان معدودة. (١)

وكثيرا ما يكون هذا السكت قبل الهمزة الساكن ما قبلها ، أو الممدود ما قبلها ، مثل قوله تعالى :

"إنما..أمره..إذا..أراد شيء..نا..أن يقول له كن فيكون". (٢)

فالقارئ هنا يمكنه السكت دون تنفس قبل هذه الهمزات الساكن أو الممدود ما قبلها ، كما هو موضح بتلك النقاط السابقة.

وسبب هذا السكت هو صعوبة نطق الهمزة ، إذ إنها فتحة حنجري يتطلب جهدا في النطق. (٣) فيستريح القارئ قبل نطقه ، ليأتي به من مخرجه بدقة.

(١) في تعريف القطع والسكت انظر: النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٨-٢٤٢

(٢) سورة يس ٨٢/٣٦

(٣) انظر: الأصوات اللغوية ٨٩-٩١

الفصل الثاني

تاريخ الوقف والابتداء

في عهد رسول الله

نزل القرآن الكريم من الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ،على مدى ثلاث وعشرين سنة،متفرقا حسب الأحداث والمواقف والظروف التي تعرض لها المسلمون الأولون،سواء مع أنفسهم ،أم مع من عايشهم من أهل الكتاب والكفار والمشركين والمنافقين.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ صحابته الكرام القرآن الكريم.ويعلمهم إياه مفسرا لهم ما يحتاجون إليه من اساط ومعان.

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحسننا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ،فتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تعلمون أنتم اليوم القرآن.ولقد رأيت اليوم رجلا يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان ،فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا راجره ،ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه". (١)

وهذا التعلم جاء من الرسول الكريم ،حيث ورد: "عن أم سلمة رضي الله عنها :أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول:

(١) القطع والانتقال ١٥/١ والنشر في القراءات العشر ٢٢٥/١

والإتيان ٨٣/١ والبرهان في علوم القرآن ٣٤٢/١

(بسم الله الرحمن الرحيم) ثم يقف، ثم يقول: (الحمد لله رب العالمين)

ثم يقف، ثم يقول: (الرحمن الرحيم)^(١).

أي إنه صلى الله عليه وسلم كان يقف بعد كل آية. وقد علمهم ذلك لأنه "لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصيدة في نفس واحد، ولم يجر التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف^(٢) للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعده. ويتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى، ولا يخل بالفهم. إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد"^(٣).

وليس من اللازم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم صحابته رضي الله عنهم مواضع الفصل والوصل في القرآن الكريم كله، بل إنه أعطاهم إطاراً نظرياً، هو عدم ختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب. يدلنا على ذلك الحديث التالي:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال:

إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا قرأوا ولا حرج، ولكن لا تختتموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة"^(٤).

(١) صحيح الترمذي (باب فضائل القرآن) عارضة الأخوذي بشرح صحيح

مسلم ٤٣، ٤٨، ٤٩/١١ والنشر ٢٢٦/١١ والتصحيح ١٢/١ والإتقان ٨٧/١ والمصاحف ٩٤ وجمال

القراء وكمال الإقراء ٥٤٩/٢ والبرهان في علوم القرآن ٩٨، ٤٦٨/١

(٢) هذه الكلمة في النشر في القراءات (وقف) بنقلها عنه السيوطي في الإتقان (وقفة).

(٣) النشر في التفسير ٢٢٤، ٢٢٥/١ والإتقان ٨٣/١

(٤) تفسير الطبري ١٩/١ والقطع والانتصاف ١٧/١ وسنن أبي داود ١٦٠/٢

كما وردت بعض الآثار التي تدل على اعتناء الرسول صل الله عليه وسلم بالوقوف في الكلام العادي ، وذلك مراعاة للمعنى .
فمن عدي بن حاتم الطائي قال :

جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشعا أحدهما فقال : من يطع الله (جل وعز) ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد رشد ومن يعصهما فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخطيب أنت فقم مكان ينبغي أن تصل كلامك : ومن يعصهما فقد غوي . أو تقف على (رسوله فقد رشد) . (١)

من هنا نجد أن موضوع الفصل والوصل قد أثر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صحح للصحابه ما كانوا يخطئون فيه . ثم أرسى لهم قاعدة هي عدم ختم آية رحمة بآية عذاب أو العكس ، والوقوف على رؤوس الآيات مطلقاً . (١) وظل الصحابة على ذلك حيناً .

في عهد الصحابة والتابعين

بعد تلقي الصحابة - رضي الله عنهم - القرآن الكريم مشافهة من رسول الله عليه وسلم ، استطاعوا أن يعرفوا بعض المواضع التي يوقف عندها لينفصل المعنى ويؤدي في صورة معينة . كما عرفوا بعض المواضع الأخرى التي لا يمكن الفصل عندها بل لابد من وصل الجملة بما بعدها ، ليتم أداء معنى معين حسب المعنى .

ومن ذلك ما رواه ابن عمر في حديثه للسابق ، من أنهم كانوا يؤتون الإيمان قبل القرآن .

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٧/١ وجمال لقراء وكمال الإقراء ٥٤٩/٢

كما وردت بعض الآثار التي تدل على اشتغالهم بالفصل في مواضع معينة، حتى يتسنى أداء معنى محدد مفهوم. فقد روي عن ميمون بن مهران^(١) أو عمر بن عبد العزيز أنهما تذكرا الوقف على قوله تعالى: (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) على أن يبتدئ: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ).^(٢)

حتى لا تكون جملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) في حق الكافرين دون الاستدراك عليهم ونقض كلامهم (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ). ولذلك لم يفصلا عند الجملة في سياقها الكلي، حتى لا تكون بمعزل عنه.

وروي 'عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه في قوله تعالى (وَلَوْ لَا فَضْلُ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْنَا لِلشَّيْطَانِ).^(٣)
قال: فلقطع الكلام.^(٤)

أي إنه لم يعد بالاستثناء، وهو قوله تعالى (إِلَّا قَلِيلًا) مع أن أداة الاستثناء (إِلَّا) تربط أسلوب الاستثناء فتخرج ما بعدها مما دخل فيه ما قبلها.

وإذا جئنا إلى أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) لوجدناه يعرض ثلاثة آراء في هذا الاستثناء:

أ- الاستثناء من فاعل (اتَّبَعْنَا)، أي (لَاتَّبَعْنَا الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا).

(١) هو أبو أيوب قرقي ميمون بن مهران الجزري (ت ١١٧ هـ).

نظر: طبقات الحفاظ ٤٠/٣٩ وشذرات الذهب ١٥٤/١ وطبقات ابن سعد ١٧٧/٢/٧

(٢) انظر: القطع والانتفاء ١٩/١

والجملتان جزء من آيتين في سورة البقرة، هما:

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون). آيتي ١١، ١٢

(٣) بقية الجملة هو قوله تعالى (لَاتَّبَعْنَا الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا) من سورة النساء ٨٣/٣

(٤) القطع والانتفاء ١٨/١ والبرهان في علوم القرآن ٢٤٢/١

ب- الاستثناء من فاعل (أذاعوا)، أي (أظهروا) تلك الأمر أو الخوف
إلا أنقل منهم).

ج- الاستثناء من فاعلا (الوجدوا)، أي (الوجدوا فيه) اختلافا كثيرا إلا
القليل منهم).^(١)

وعلى ذلك يكون تخریج ابن عباس مقتربا من السرايا
الأخيرة، مبتدئا عن الرأي الأول، ويصير أسلوب الشرط تلما دون استثناء
منه.

وعن قتادة^(٢) أنه في قوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده
الكتاب ولم يجعل له عوجا) قيما لينذر بأسا شديدا من لئنه).^(٣)

قال: أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا. ويستدل النحاس من ذلك
على أنه لا يجب أن يقطع القارئ عند (عوجا)، لأن (قيما) راجع إلى ما قبله.^(٤)
وهذا يدل على إعمال الفكر في التركيب اللغوي للآية الكريمة؛ إذ
إن الناصب في (قيما) هو الحالية، وصاحب هذه الحال هو (الكتاب). ولذا لم
يفرق بين الحال وصاحبها (أنزل الكتاب قيما).

وقد سئل علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - عن قول الله تعالى
(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).^(٥)

(١) انظر: إملاء ما من به الرحمن ١/١٨٨

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسي، ومن قتلين، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقه، وكان
أكبره ومات بالبصرة (١١٧ هـ). انظر: إملاء ما من به الرحمن ٢/٩٨ وطبقات ابن سعد ١/٧-٣ ومعجم
الأدباء ١٧/٩-١٠ وطبقات المفسرين ٢/٤٤، ٤٣

(٣) من سورة الكهف ١٨/٢، ١٠.

(٤) انظر: القطع والانتشاف ١/١٨

(٥) من سورة النساء ٤/٤١ أو قبلها جملة (فانه يحكم بينكم يوم القيامة).

وقد رأينا الكافر يقتل المؤمن، فقال رضي الله عنه: اقرأ ما قبلها: (فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).^(١)

وهنا نجد مراعاة تامة للسياق، حيث تقدم المركب الظرفي (يوم القيامة) فعل الظرفية في الجملة الأولى الاسمية (فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة). ثم عطف الجملة الثانية الفعلية عليها، فاشتركت في الظرفية معها. (لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يوم القيامة).

أما فهم السائل فهو قصر الظرفية على الجملة الأولى الاسمية، مع بقاء الفعل المضارع في الجملة الثانية الفعلية دون تحديد زمنه.

هذا الربط بين الجملة وسياقها ليس ببعيد على رجل رأي أن قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا).^(٢) يراد به تجويف الحروف ومعرفة الوقف.^(٣) وروي أيضا عن عمرو بن ميمون^(٤) ومجاهد^(٥) رضي الله عنهما أنهما قالَا: كل مؤمن صديق شهيد، ثم قرأ قوله تعالى: (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم).^(٦) فقد اعتبرا أن مورفيم الواو في

(١) انظر: القطع والانتشاف ١٩/١

(٢) من سورة المزمل ٤/٣٧

(٣) انظر: الانتقان في القرآن ٨٣/١

(٤) هو أبو عبد الله عمرو بن ميمون، الأودي الكوفي (ت ٧٤هـ).

انظر: طبقات الحفاظ ٢٤ وشذرات الذهب ١/٢١٦

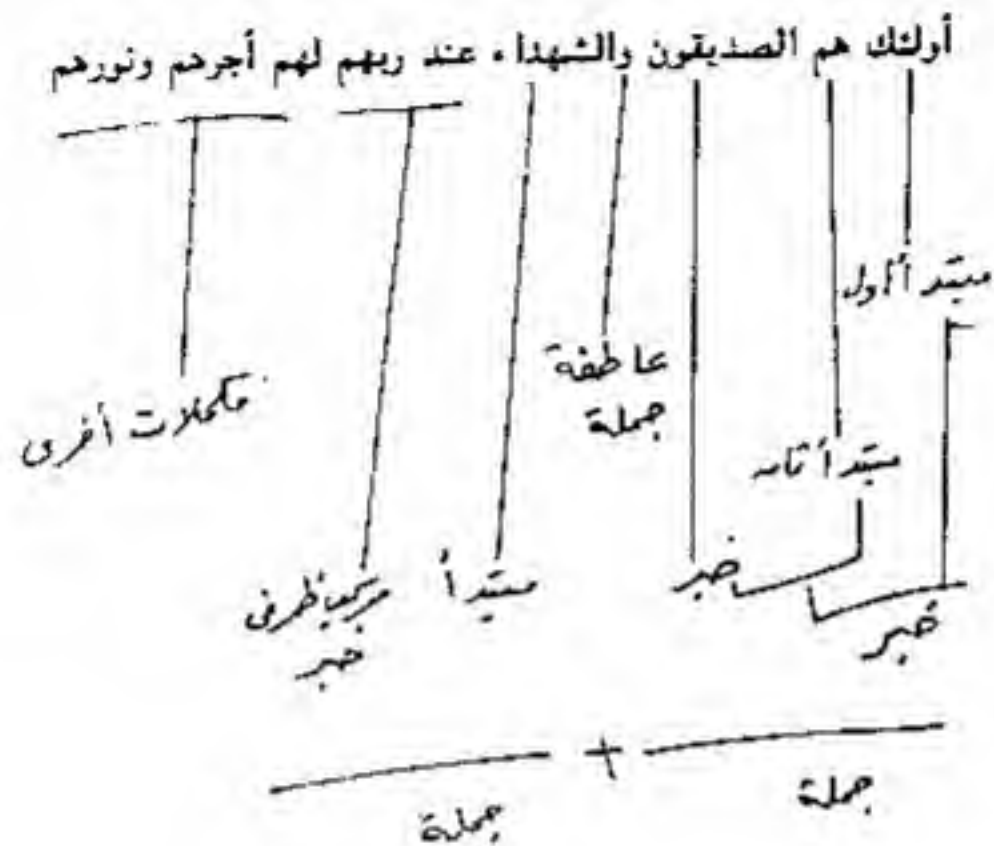
(٥) هو مجاهد بن جبر القارئ من كبار التابعين، أخذ القرآن عن عبد الله بن عباس وعطي بن أبي طالب وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وتوفي سنة ١٠٢هـ انظر:

شذرات الذهب ١/١٢٥ ومعجم الأنبياء ١٧/٧٧/٧٨

(٦) من سورة الحديد ٥٧/١٩ وقيل هذه الجملة بدايتها وهي: (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم).

انظر: القطع والانتشاف ٨١/١

ذلك .



أ- أولئك هم الصديقون.

ب- الشهادۃ عند ربهم لهم اجرهم ونورهم. (۱)

(١) هناك رأي ثالث قال به العكبري وهو أن الوقف على الشهداء يتم بيندي (عند ربهم).
انظر: إجملاء ما من به الرحمن ١١٩/٢-١٢١

كما روي أيضا عن أبي عبد الرحمن العسلي^(١) أنه كان يستحب أن يقف عند قوله تعالى (قللوا يا ويننا من بعثنا من مرقننا) ثم يبتدئ فيقول (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)^(٢).

ونلك لأن الجملة الأولى سؤال من الكافرين والثانية جواب من الملائكة على هذا السؤال كما علق النحس عند إيراده هذا الخبر. وقد جاء هذا الفصل على كلمة (مرقننا)، لأنها انتهاء جملة مقول القول ثم الابتداء بالمبتدأ (هذا) الذي هو أول جملة قللتها الملائكة.

ولما كان الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم - يراعون المعنى فقد روي عنهم أنهم كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآيات ويدعوا بعضها، وذلك لعدم تجزئة السياق، وفصله إلى جزئيات صغيرة قد تغير المعنى أو تحدث لبسا في فهمه.

من هنا لم يترددوا في تطبيق هذا المبدأ على كلامهم اليومي - بعيدا عن القرآن الكريم - كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه - أنه قال نرجل معه ثلثة: أتبيعها بكذا. فقل: لا علفك الله. فقل: لا تقل هكذا، ولكن قل لا وعلفك الله^(٣).

(١) هو عبد الله بن حبيب - سي الكوفي القارئ، (ت ٩٢ هـ).

انظر طبقات الحفاظ ٢٠١٩، وطبقات ابن سعد ١٢١، ١١٩/٦.

(٢) انظر: القطع والانتشاف ١٩/١ والآية من سورة يس ٥٢/٣٦.

(٣) القطع والانتشاف ٢٠/١.

أي إنه خاف اللبس لوقوع النفي في كلمة (لا) على جملة الدعاء
الخبرية (عافاك الله)، فتتحول من الدعاء إلى المقت والبغض، لذلك أفسر
عليه الفصل بين النفي والدعاء بمورفيم الاستئناف (و).
ومثبه بذلك أيضا ما أورده النحاس؛ من أن إبراهيم النخعي (١) -
كره أن يقال: (لا والحمد لله)، ولم يكره (نعم والحمد لله). (٢) وذلك لعدم
اشتراك النفي مع الحمد بمورفيم العطف (و)، وهو ما تخالفه أداة الجواب
(نعم) مع وجود العطف نفسه.

من كل ما سبق نجد بعض الطعام القدامى قد استدلوا على أن
الوقف كان إجماعا من الصحابة، (٣) وهذا الإجماع كان نتيجة لإعمال
عقولهم في سياق الآيات وفهم معانيها، واعتمادهم على ذلك أكثر من النقل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) هو إبراهيم النخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران مقلبه أهل الكوفة

ومقلبه، (ت ٦٩ هـ). انظر: طبقات الحفاظ ٢٩، وشذرات الذهب ١١١/١

(٢) انظر: القطع والانتشاف ٢٠/١

(٣) انظر: القطع والانتشاف ١٨٤/١٥/١ والنشر في القراءات ٢٢٥/١

والإتقان في علوم القرآن ٨٢/١



الفصل الثالث

كتب الوقف والابتداء

تختلف الكتب التي عالجت هذا الموضوع عن غيرها من الكتب التي تعرضت للتفسير أو القراءات. حيث نجد أن الميلاق situation هو الذي يوجه المعنى، ومن ثم يلزم الفصل أو يجب أو يحسن أو يقبح. وكما ذكرنا في المقدمة، فإن أصحاب هذه الكتب لم يذكروا كلمتي (الفصل والوصل) مجتمعين هكذا في مركب عطفى، عنونا لأي كتاب من كتبهم بل ذكروا كلمت:

(الوقف - الابتداء - القطع - الالتف - المقطوع - الموصول - المقاطع - المبادئ - الوقوف - الابتداء).

ونورد هنا تلك الكتب مصحوبة بأسماء مؤلفيها، مرتبين إياهم حسب سني وفيتهم بقدر ما تسعنا المراجع.

- ١- الوقف والابتداء، هشام بن عبد الله. (١)
- ٢- الوقف والابتداء، الجعدي. (٢)
- ٣- وقف التمام، لأحمد بن عيسى اللؤلؤي. (٣)
- ٤- مقطوع القرآن وموصولة، لعبد الله بن عامر اليحصبي، (ت ١١٨ هـ). (٤)
- ٥- الوقف والابتداء، لضرار بن الصرد (ت ١٢٩ هـ). (٥)
- ٦- الوقوف على شية بن نصاح (ت ١٣٠ هـ). (٦)

(١) انظر: الفهرست، ٥٤

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٥٤

(٣) انظر: المرجع نفسه،

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي ١/١٤٨ والفهرست ٥٥

(٥) انظر: الفهرست، ٥٤

(٦) انظر: تاريخ التراث العربي ١/١٤٨

- ٧- الوقف والابتداء، لأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ). (١)
- ٨- الوقف والابتداء، لحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ). (٢)
- ٩- مقطوع القرآن وموصوله، للزيات أيضا. (٣)
- ١٠- الوقف والابتداء الكبير، لأبي جعفر الراسي (ت ١٩٧هـ). (٤)
- ١١- الوقف والابتداء للصغير، للرواسي أيضا. (٥)
- ١٢- مقطوع القرآن وموصوله، لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٩٧هـ). (٦)
- ١٣- وقف التمام، لنافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٩٩هـ). (٧)
- ١٤- الوقف والابتداء، ليحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ). (٨)
- ١٥- وقف التمام، ليعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ). (٩)
- ١٦- الوقف والابتداء، ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ). (١٠)
- ١٧- حد الابتداء والقطع، وهو فصل من كتاب أسماء الحدود للفراء أيضا. (١١)

(١) انظر: المرجع السابق ١/١٤٨

(٢) انظر: الفهرست ٥٤

(٣) انظر: المرجع نفسه ٦٥

(٤) انظر: المرجع نفسه ٦٩ ومعجم الأنباء ١٨/٢٥ وطبقات المفسرين ٢/١٣١

(٥) انظر: انظر: الفهرست ٩٦ ومعجم الأنباء ١٨/١٢٥ وطبقات المفسرين ٢/١٣١

(٦) انظر: الفهرست ٩٨، ٩٧ ومعجم الأنباء ١٣/٢٠٣ وطبقات المفسرين ١/٤٠٢

(٧) انظر: الفهرست ٥٤

(٨) انظر: معجم الأنباء ٢٠/٣١، ٢٠/٣١

(٩) انظر: المرجع نفسه ٢٠/٥٣ والفهرست ٥٤/٢٠/٥٣

(١٠) انظر: الفهرست ٤٠ ومعجم الأنباء ٢٠/١٤

١٨- وقف التمسك بالأخفش الأوسط أبو الحسن بن
مسعدة (ت ٢١٥هـ). (٢)

١٩- الأوقاف ، للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٥هـ). (٣)

٢٠- الوقف والابتداء ، لخلف بن هشام (ت ٢٢٩هـ). (٤)

٢١- الوقف والابتداء ، لمحمد بن سعدان (ت ٢٣١هـ). (٥)

٢٢- وقف التمسك ، لأبي الحسن روح بن عبد المؤمن
الهزلي (ت ٢٣٥هـ). (٦)

٢٣- الوقف والابتداء ، لأبي عبد الرحمن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ). (٧)

٢٤- الوقف والابتداء ، لحفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ). (٨)

٢٥- وقف التمسك ، بنصر بن علي (ت ٢٥٥هـ). (٩)

٢٦- المقاطع والمبلاي ، لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ). (١٠)

٢٧- الوقف والابتداء ، لأحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ). (١١)

(١) انظر: الفهرست ١٠٠

(٢) انظر: المرجع نفسه ١٠٠

(٣) انظر: المرجع نفسه ١٠٠ ولاحظ أن قباطين قد أرخ للأصمعي ولكنه لم يذكر له هذا الكتاب
انظر: الأصمعي للغوي ١٠٩، ١٠٨

(٤) انظر: الفهرست ٨٢

(٥) انظر: المرجع نفسه ٥٤

(٦) انظر: المرجع نفسه ٥٤

(٧) انظر: إنباء الرواة ١٥٦/٢ والفهرست ٥٤

(٨) انظر: الفهرست ٥٤

(٩) انظر: المرجع نفسه ٥٤

(١٠) انظر: إنباء الرواة ٦٢/٢ والفهرست ٨٦، ٨٧

(١١) انظر: الفهرست ١١٠/١١ وطبقات المعشرين ٩٧/١ ومعجم الأنباء ١٤٣/٥

- ٢٨- الوقف والابتداء لمسلم بن يحيى الضبي (ت ٢٩١هـ). (١)
- ٢٩- الوقف والابتداء لمحمد بن أحمد بن كيسان (ت ٢٩٩هـ). (٢)
- ٣٠- الوقف والابتداء، لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ). (٣)
- ٣١- إيضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٣٤هـ). (٤)
- ٣٢- الوقف والابتداء لمحمد بن محمد بن عبد المالك (ت ٣٣٤هـ). (٥)
- ٣٣- القطع والامتناع، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ). (٦)
- ٣٤- الوقوف، لأحمد بن كامل البغدادي (ت ٣٥٠هـ). (٧)
- ٣٥- الوقف والابتداء، لمحمد بن الحسن الطاطري (ت ٣٥٤هـ). (٨)
- ٣٦- الوقف والابتداء، لأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم (ت ٣٦٢هـ). (٩)
- ٣٧- الوقف والابتداء، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ). (١٠)
- ٣٨- الوقف والابتداء، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ). (١١)

(١) انظر: الفهرست ٥٤

(٢) انظر: معجم الأنبياء ١٧/١٧، ١٣٩/١٣٩، ١٧٠/١٧٠، ١٧٠/١٧٠

(٣) انظر: معجم الأنبياء ١٩/٢٨، ٢٨/٢٨، ٢٨/٢٨، ٢٨/٢٨

(٤) وهو رسالة مكتوبة بخط يد أبي بكر بن الأنباري

(٥) انظر: معجم الأنبياء ١٩/٢٨، ٢٨/٢٨، ٢٨/٢٨، ٢٨/٢٨

(٦) وهو رسالة مكتوبة بخط يد أبي بكر بن الأنباري

(٧) انظر: الفهرست ٤٨، وطبقات المفسرين ١/٦٥، ومعجم الأنبياء ٤/١٠٥

(٨) انظر: معجم الأنبياء ١٨/١٥٣

(٩) انظر: الفهرست ٥٠، وطبقات المفسرين ٢/١٢٨

(١٠) انظر: الفهرست ٩٣

- ٣٩- الوقف والابتداء، لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ). (٢)
- ٤٠- المكتفي في معرفة الوقف التام والوقف الكافي والحسن، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ). (٣)
- ٤١- الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني أيضاً (٤)
- ٤٢- الوقف والابتداء، لمحمد بن طيفور السجلوندي من علماء القرن السادس الهجري. (٥)
- ٤٣- الوقف والابتداء، لمحمد بن يزيد بن طيفور السجلوندي. (٦)
- ٤٤- المرشد، لأبي محمد الحسن العملي من علماء القرن السادس الهجري. (٧)

(١) انظر: المرجع نفسه ١٢٨

(٢) انظر: طبقات المفسرين ٢/٣٣٨

(٣) وهو مخطوط في مكتبته بلدية الاسكندرية برقم (٢١١ اب) والمكتبة الأحمينية بحلب برقم (١٣٩) مودل الكتب برقم (٨٣، ٢٢) تيمور و انظر: الإتفاق في علوم القرآن ١/٧

(٤) انظر: طبقات المفسرين ١/٣٥٧ والإتفاق في علوم القرآن ١/٧

(٥) وهو مخطوط عام ٨٨٣ هـ في مكتبة بلدية الاسكندرية برقم (٢٠٠٣ د) مكتبة الأزهر برقم (١٦٤).

(٦) انظر: طبقات المفسرين ٢/٢٧١

ولم يعرف له تاريخ ميلاد أو وفاة - شأنه شأن شبيهه محمد بن طيفور - وكلام شمس الدين الدودي صاحب طبقات المفسرين في آخر ترجمته مات (تخميناً) سنة ٤٦٠ هـ وت ولربيعين يوحى بأنه هو ابن طيفور السابق ذكره. ورغم ذلك، فقد أرخ قداودي لهما، و نرجح أن يكون كلاهما عالماً ولحداً، ذكر في المرة الأولى باسم جده، وفي الثانية باسم أبيه بينهما وتم يظن إلى ذلك المحقق - حينما خمن أنه توفي سنة ست ولربيعين، و نورد عن شبيهه ابن طيفور: . وقال نكان في وسط المائة لسانه.

انظر: طبقات المفسرين ٢/٢٧١، ١٥٥، والإتقان في علوم القرآن ١/٧.

(٧) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٤٢ وقد ذكره صاحب المقصد، عند ما لخصه، انظر رقم (٥٨) في تلك القائمة.

٤٥ - الابتداء في معرفة الوقف والابتداء لمحمد بن عبد الله
النكزواتي. (١)

٤٦ - الوقف والابتداء ، وهو فصل من فصول كتاب جمال القراء
وكمال الإقراء لأبي الحصن علم الدين المخاوي (ت ٦٤٣هـ). (٢)

٤٧ - الوقف والابتداء ، وهو جزء من إحدَي مَقَمَتَيْن في كتاب
(التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم بن جزى الكلبى الغرناطى
(ت ٧٤١هـ). (٣)

٤٨ - معرفة الوقف والابتداء ، وهو فصل من كتاب (البرهان في
علوم القرآن)، لبدر الدين الزركشى (ت ٧٩٤هـ). (٤)

٤٩ - الوقف والابتداء ، وهو فصل من كتاب مواقع العلوم من
مواقع النجوم لجلال الدين البلقينى (ت ٨٢٤هـ). (٥)

٥٠ - الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء ، لأبي الخير بن الجزري
(ت ٨٣٣هـ). (٦)

٥١ - الوقوف والابتداء ، وهو فصل من فصول كتاب (النشر في
القراءات العشر) لأبي الخير بن الجزري. (٧)

(١) مخطوط في مكتبة الأزهر - رقم ١٢١

(٢) مخطوط: البرهان في علوم القرآن ١/١٣١، ١٣٠

(٣) انظر: المرجع نفسه /

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٣، ١٢٠

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٣٩-٣٧٥

(٦) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/٣

(٧) انظر: النشر في القراءات العشر ١/٢٢٤

- ٥٢- الإسعاف في معرفة في معرفة القطع والإسنتاف، لبرهان الدين الكركي الشافعي (ت ٨٣٥هـ). (١)
- ٥٣- ل-ثمة الطرف في معرفة الوقف، لبرهان الدين الكركي الشافعي. (٢)
- ٥٤- الوقف والابتداء، لأبي حسن علي بن أحمد الغزال، من علماء القرن التاسع الهجري. (٣)
- ٥٥- معرفة الوقف والابتداء، وهو... - فصول كتاب (الإتقان في علوم القرآن)، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). (٤)
- ٥٦- الوقف والابتداء، وهو فصل من فصول كتاب (التحبير في علوم التفسير). لجلال الدين السيوطي. (٥)
- ٥٧- المقصد لتخليص ما في المرشد، لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ). (٦)
- ٥٨- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، لأحمد بن عبد الكريم الأشموني، من علماء القرن الحادي عشر الهجري. (٧)
- ٥٩- منازل القرآن في الوقوف، مجهول المؤلف. (٨)
- ٦٠- مقدمة في وقوف القرآن، مجهول المؤلف. (٩)

(١) انظر: المرجع نفسه ٢٢٤/١-٢٤٣

(٢) انظر: طبقات المفسرين ٢٣/١

(٣) انظر: طبقات المفسرين ٢٣/١

(٤) انظر: وهو مخطوط كتب عام ٨٥٢هـ في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ١٤٧

(٥) انظر: المرجع نفسه ٤/١

(٦) وهو مطبوع في بولاق سنة ١٢٨١هـ، انظر كتاب رقم (٤٤) في هذه القائمة.

(٧) وهو مطبوع في بولاق سنة ١٢٨٦هـ...

(٨) وهو مخطوط في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم ١٠١٢، وهو منسوخ عام ١١٨٥هـ.

هذه هي الكتب والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع ،منذ القرن الثاني الهجري ،حيث ألف عبد الله بن عمر (ت ١١٨هـ) كتابه ،وانتهاء بالقرن الثالث عشر الهجري ،حيث وردت تلك المخطوطة التي لم يُعرف مؤلفها في علم ١٢٨٥هـ.

ومن خلال العرض السابق لهذه المؤلفات نجد أنها تنقسم إلى قسمين هما:

١- كتب مستقلة.

٢- فصول أو أجزاء داخل كتب علوم قرآن .

فلما لفصول أو الأجزاء التي احتوتها كتب أخرى فهي:

أ- ما ورد في كتب التفسير:

الوقف والابتداء ،في كتاب للتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي للكلبي.

ب- ما ورد في كتب علوم القرآن:

معرفة الوقف والابتداء ،في كتاب الإقطن في علوم القرآن للسيوطي

ج- ما ورد في كتب القراءات:

الوقوف والابتداء ،في كتاب للنشر في القراءات العشر لابن

الجزري.

ويغلب على ظني أن ما ورد اسمه عن القراء في كتاب أو الفصل

الذي كتب فيه لم يصح .

وأما الكتب المستقلة فهي بقية ما ورد من مسميات في تلك القائمة

السابقة.

(١) وهو مخطوط في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم ١٧٥٨ وهو مكتوب عام ١٢٨٥هـ.

نلاحظ أيضا أن معظم مؤلفي هذه الكتب من اللغويين^(١) أو قليل منهم من علماء القرآن الكريم، كما أن بعضهم مجهول، لم يعرف إلا من خلال إشارات بسيطة في كتب التراجم أو الرجال أو الطبقات.

* فمن اللغويين:-

١- أبو عمرو بن العلاء.

٢- حمزة الزيات.

٣- أبو جعفر الرواسي.

٤- الكسائي.

٥- يعقوب الحضرمي.

٦- الفراء.

٧- الأصمعي.

٨- الأخفش الأوسط.

٩- أبو حاتم المسجمتي.

١٠- ثعلب.

١١- ابن كيسان.

١٢- الزجاج.

١٣- أبو بكر الأثيري.

١٤- أبو جعفر النحاس.

١٥- ابن جني.

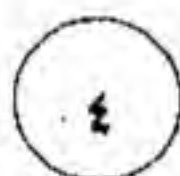
١٦- السيوطي.

١٧- الأشموني.

(١) أطلقت كلمة (اللغويين) هنا لتشمل النحاة، إذ إن النحو أحد فروع اللسانيات الحديثة.

• ومن علماء القرآن:-

- ١- عبد الله بن عامر.
- ٢- نافع بن عبد الرحمن.
- ٣- حفص بن عمر الدوري.
- ٤- أبو عمرو الداني.
- ٥- ابن جزي الكلبي.
- ٦- ابن الجزي.
- ٧- السيوطي.



الفصل الرابع

أنواع الوقف من وجهة

نظر المؤلفين فيه

إنه لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ المسورة أو القصيدة في نفس واحد، ولم يجر التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، ونحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى، ولا يخل بالفهم. إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته. (١)

ولهذا فقد اهتم العلماء بذلك الموضوع واستطاعوا أن يبينوا مواضع الفصل والوصل، واصطلحوا على أن لأنواع الوقف والابتداء أسماء واختلفوا في ذلك. (٢)

ولبيان أنواع الوقف وأسماء هذه الأنواع عندهم، فسوف نعرض لبعض ما جاء عنهم في ذلك، واصفين إياه معقبين عليه محللين عباراتهم في ذلك، مرتبين أصحابها ترتيباً زمنياً.

وسأقتصر على ابن الأنباري وأبي جعفر النحاس في القرن الرابع الهجري، وابن طيفور السجاوندي في القرن السادس الهجري، وابن جزي الكلبي الغرناطي وبدر الدين الزركشي في القرن الثامن الهجري، وأبي الخير بن الجزري في القرن التاسع الهجري، وجلال الدين السيوطي في القرن العاشر الهجري، والأشموني في القرن الحادي عشر الهجري، ثم أحاول بعد ذلك استخلاص ما اتفقوا عليه وتنقيح ما اختلفوا فيه.

(١) النشر في القراءات العشر ١/٢٢٤، ٢٢٥، والإتقان في علوم القرآن ١/٨٣. وراجع ص ٢٦ من هذا الكتاب.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢٢٥، والإتقان في علوم القرآن ١/٨٣.

١- أبو بكر بن الأنباري (ت ٢٢٨هـ)

قسم ابن الأنباري الوقف إلى ثلاثة أقسام هي:

١- التام.

٢- الحسن.

٣- القبيح.

ثم فصل هذه الأقسام أو الأوجه - كما سماها - فقال:

"فالتام الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده عولا يكون بعده

ما يتعلق به كقوله (تعالى): (وأولئك هم المفلحون) (١)

وقوله (تعالى) (أم لم تنذروهم لا يؤمنون) (٢)

والحسن هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما

بعده، كقوله تعالى: (الحمد لله)، لأن الابتداء بـ (رب العالمين) (٣) لا يحسن

لكونه صفة لما قبله.

والقبيح هو الذي ليس بتام ولا حسن، كالوقف على (بسم) من قوله

تعالى: (بسم الله) (٤). (٥)

إنه يقصد بالتام ما يتم المعنى عنده بحيث يمكن أن يقف القارئ، ثم

يبدأ كلاماً جديداً، له معنى جديد غير متعلق بما بعده، ويستشهد بأول سورة

البقرة. فالوقف عند قوله سبحانه: (وأولئك هم المفلحون) فيه وصف للمفلحين.

(١) من سورة البقرة ٥/٢. وتعلم الآية (وأولئك هم المفلحون).

(٢) من سورة البقرة ٦/٢. وتعلم الآية: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون).

(٣) من سورة الفاتحة ٢/١ والآية هي (الحمد لله رب العالمين).

(٤) من سورة الفاتحة ١/١ وهي آية البسملة.

(٥) الإفتان في علوم القرآن ٨٤/١.

أما البدء بـ (إن الذين كفروا) فيتعرض لقضية أخرى، هي عند الكافرين ومصيرهم. أي إن الآية الأولى تحدث عن المتقين، والثانية عن الكافرين. (١)

ويقصد بالوقف الحسن تلك الذي إذا وقف القارئ عنده لأعطى معنى معيناً له تعلق بما بعده يزيده توضيحاً. ويمثل لذلك بمن يقف عند قوله تعالى (الحمد لله) حيث نجد هنا معنى معيناً وهو إسناد الحمد لله سبحانه والجملة بذلك جملة اسمية، تولف فيها ركنهاها الأساسيان، المبتدأ والمركب الحرفي الذي جاء توزيعه الـ رقي خبراً.

ولكن لو استأنف القارئ بعدها (رب العالمين)، لوجد مركباً إضافياً متعلقاً بما قبله، هو لفظ الجلالة، وهذا التعلق تعلق وصفية. ولا يعطي هذا المركب معنى مستقلاً بنفسه حالة وجود الجر في (رب)، إلا إذا وصل بموصوفة للسابق (الله)، حينئذ يتضح المعنى الكلي للجملة: (الحمد لله رب العالمين).

ثم يتعرض للقيح فيرى أنه (الذي ليس بتام ولا حسن). وهو تعريف سليم، ينكرنا بتعريف النحاة العرب للحرف الذي هو ما ليس باسم ولا فعل. (٢)

ويمثل لذلك بالوقف على (بسم) من قوله (بسم الله).

(١) انظر: تفسير القرطبي ١/١٨٢-١٨٥.

(٢) وهو ما يعرف في التسقيت الحديثة بأن ترك العلامة في حد ذاته علامة. انظر: دراسة صوتية في لهجة الواحات الخارجة ٢٦٧.

وهنا نجد أن (بسم الله) مركب إضافي فقد احتوى ركنه الأول على
مركب حرفي، ولا يمكن فصل ركن عن الآخر حيث يؤيدان معا معنى معيناً
غير ما كان لأي منهما منفرداً. (١)
ومن ثم فلا يمكن نطق (بسم) مقصونة عن . الجلالة (الله)، بل لابد
من وصل هذين الركنين لإعطاء المعنى المراد.
ومن الواضح أن ابن الأثير لم يفرقنا في تعريفه منطقياً، أو
فلسفياً عن طريق اللعب بالألفاظ. بل جاء تعريفه لهذه الأقسام ميسراً
واستشهاداً موفقاً .

(١) قظر في تعريف المركب : دور الكلمة في اللغة ١٢٦ والعربية الفصحى ١٨٣.

٢- أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ)

اعتمد أبو جعفر النحاس على ابن الأثير ومن سبقه في بيان أنواع الوقف. ومن ثم لم نجد عنده تقسيما للوقف، أو تعريفا لهذه الأقسام، بل قال: "إن من الوقف ما هو واضح مفهوم معناه، ومنه مشكل لا يدري إلا بسماع وعلم التأويل، ومنه ما يعلمه أهل العربية واللغة، فيدري أين يقطع وكيف ياتنف" (١).

فهو هنا لم يقسم الوقف، بل وصف أنواعه دون تسميتها.

ورأي أن هناك أنواعا منه هي:-

١- واضح مفهوم معناه.

٢- مشكل لا يدري إلا بسماع وعلم التأويل.

٣- ما يعلمه أهل العربية واللغة.

لكنه لم يبين لنا حدود كل نوع، أي كيف يمكن أن نحكم على أن هذا وقفا واضحا أو مشكلا أو مالا يعلمه إلا المتخصصون في العربية.

كما أنه لم يمثل لنا من القرآن الكريم آيات توضح هذه الأنواع، بل لم يشر إليها في كتابه، على الرغم من أنه قد استخدم مصطلحات أخرى - دون تعريفها - هي:

(التام - الحسن - القبيح - الصالح - الكافي).

فنراه عند تعرضه - مثلا - لقول الله عز وجل:

(١) القطع والامتياز ٢٤/١.

(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ،والله يعدكم مغفرة منه
وفضلاً ،والله واسع عليم .يؤتي الحكمة من يشاء ،ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيراً كثيراً ،وما يذكر إلا أولوا الألباب) . (١)

فعند كلمة (فضلاً) يقول : نافع تتم ،أي قطع - ام .
وعند كلمة (عليم) يقول : قطع حسن .

وعند كلمة (كثيراً) يقول : هذا قطع كاف عند أبي حاتم
(المجستائي) ،وزعم العباس بن الفضل أنه تمام ،والصواب ما قاله أبو
حاتم . (٢)

من كلام أبي جعفر يكون القطع التام بعد انتهاء الجملتين الاسميّتين
المعطوفتين وهما :

١ - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء .

٢ - الله يعدكم مغفرة منه وفضلاً .

وهما جملتان اسميتان كبيرتان ،خبر كل منهما جملة فعلية ،فعلها
مضارع ،والمعنى في أيهما ضد الأخرى .

ويكون القطع الحسن بعد انتهاء الفاصلة ، ومع ذلك فالجملة التي
بعدها مفسرة لما قبلها . فإذا كان الله تعالى واسعاً عليمًا . فإن من وسعه
وعلمه تعالى أنه يؤتي الحكمة من يشاء من عباده والجملتان هما :

١ - والله واسع عليم .

٢ - يؤتي الحكمة من يشاء .

(١) من سورة البقرة ٢/٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) قطر : القطع والإنتف ١/١٢٦ .

ويكون القطع الكافي بعد الإتيان بجمليتين فعليتين، الثانية

منهما مفسرة للأولى، وهما:

- يؤتي الحكمة من يشاء.

- ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

ورغم أن تعلق هاتين الجملتين هو نفسه تطبق الجملتين

السابقتين، (والله واسع عليم - يؤتي الحكمة من يشاء)، إلا أن القطع في

الحالة الأولى حسن، وفي الثانية كاف. ولعل ذلك هو الذي حدا بأبي جعفر

أن يذكر رأيين فيه، فأبو حاتم يراه قطعا كافيا، على حين يراه العباس بن

الفضل تاما. ومع ذلك فقد انحاز إلى رأي أبي حاتم، دون أن يقدم لنا دليلا

على هذا الانحياز، بل قال: والصواب ما قاله أبو حاتم.

وقد مثل للقطع (الصالح) حين تعرض لقوله عز وجل:

(ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا).^(١)

فقال: "هنا قطع صالح".^(٢)

ولم يمثل للقطع القبيح.

ورغم ذلك نجد محقق كتابه (القطع والانتناف) يعرف هذه الأنواع

تعريفات غير دقيقة، دون أن يمثل لها، حين قال:

" فالقطع التام هو ما يكون بعد تمام الكلام وليس له تعلق بما

بعده، والكافي تعلقه مضوي، والحسن تعلقه لفظي".^(٣)

(١) من سورة النساء ١/١٠ - نية كلمة هي (ثم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاسنوا، إلى طاعات، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا)..

(٢) قطع والانتناف ١/١٨٦ ونظر ١/٢٠٥، ٢/٢٠٩، ٢/٢١٢.

(٣) قطع والانتناف، مقدمة التحقيق ٩٨.

ولمنا ندري كيف يمكن فصل اللفظ عن المعنى ،حتى يتسنى لنا
معرفة التعلق اللفظي من التعلق المعنوي .مع أنه لا انفصال بين اللفظ
ومعناه، إذ إن الكلمة في اللغة كالعملة ،أحد وجهيها هو اللفظ ،والوجه الآخر
هو المعنى. (١)

(١) قطر: المزمهر ٨/١ والخصائص ١/١٥٠، ١٧٦، ٢٢١، ٢٢٥ واللسان والإيمان ٣٣ ومناهج البحث
في اللغة ١٦ وبحوث ومقالات ١٧-٢٣ وعلم دلالة العربي ٣٠ واللغة بين عقل والمغامرة ١٥، ٤٤.

٣ - محمد بن طيفور السجاني ندي

(من علماء المائة السادسة للهجرة). (١)

قسم السجاني الوقف إلى خمسة أقسام حين قال:

"الوقف على خمس مراتب، لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة" (٢)

ولم يقف عند هذه التقسيمات، بل عرف كل قسم وشرطه ومثله بآيات من القرآن الكريم.

فباللزام عنده هو "ماتوا وصل طرفاه غير المراد، نحو قوله (تعالى): (وما هم بمؤمنين) يلزم الوقف هنا، إذ لو وصل بقوله (تعالى) (يخادعون الله)، (٣)

توهم أن الجملة صفة لقوله (تعالى): (بمؤمنين). فانتفى الخداع عنهم، وتقرر الإيمان خالصا عن الخداع" (٤).
إنه هنا يشير إلى جملتين هما:

١ - ما هم بمؤمنين.

٢ - يخادعون الله.

فالجملة الأولى اسمية، والثانية فعلية. فإذا وقفنا عند نهاية الجملة الأولى (مؤمنين) لصار النفسي في أولها متعلقا بإسناد الخبر إلى

(١) لم نجد لهذا الرجل تاريخ وفاة في المراجع التي تحت يدي، فكلها أصبحت فيه عائش في القرن السادس الهجري. انظر تطبيقات المفسرين ١٥٥/٢ وإنباء الرواة ١٥٣/٣ وقوفي بالوفيات ١٧٨/٣.

(٢) الإتيان في علوم القرآن ٨٤/١.

(٣) من سورة البقرة ٨١/٢ والآيتان هما: (ومن قناس من يقول آمنا بالله ويثيوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون).

(٤) الإتيان في علوم القرآن ٨٤/١.

المبتدأ، وعندها ينتفي الإيمان من المنافقين المثلث إلىهم بالضمير (هم) وهو ما يتطلبه السياق.

وإذا وصلنا هكذا (وما هم بمؤمنين يخلعون الله) نصارت جملة (يخلعون) صفة للخبر (مؤمنين)، وعندها تصل الأداة (ما) التي في الصفة لا الخبر، ويتحول المعنى إلى أنهم ليسوا مؤمنين مخلصين بل هم مؤمنون فقط، وهو ضد المراد من الآية الكريمة.

ويعرف المطلق فيقول عنه: ما يحسن الابتداء بما بعده، كالاسم المبتدأ به نحو (الله يجتبي).^(١)

والفعل المستأنف نحو (يعبدونني لا يشركون بي شيئا).^(٢)

ومفعول المحذوف نحو (منة الله).^(٣)

والشرط نحو (من يشأ الله يضلله).^(٤)

والاستفهام - ولو مقترنا - نحو (تريدون عرض الدنيا).^(٥)

واللنفي نحو (ما كان لهم الخيرة).^(٦)

(١) من سورة الشورى ١٣/٤٢ والآية كاملة هي: (نشرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى ووصى أن قلهموا الدين ولا تتفرقوا فيه بغير علي المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي من يشأ ويهدي إليه من يئوب).

(٢) من سورة التور ٥٥/٢٤. (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض ما استخلف الذين من قبلهم فليؤمنن لهم نبيهم الذي ارتضى لهم فليوقننهم من بعد خوفهم أن يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

(٣) من سورة الأحزاب ٣٨/٢٢، الآية كاملة هي: (ما كان علي النبي من هرج فيما فرض الله له سنة الله في الدين كلوا من قبل موكلن أمر الله ففرا مقنورا).

(٤) من سورة الأنعام ٣٩/٦، الآية كاملة هي: (والذين كتبوا لآلئنا سم وكم في الظلمت من يشأ يضلله، ومن يشأ يخطه علي صراط مستقيم).

(٥) من سورة الأنفال ٦٧/٨، الآية كاملة هي: (ما كان لنبي أن يكون له أسري حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم).

و(إن يريدون إلا فراراً).^(٢)

يرى هنا السجلوندي أن الوقف المطلق هو ما يحسن الابتداء بما بعده ، وهذا تعريف بالضد كتبه قل: اللون الأبيض هو ما يكون غيره أسود وهو ما قلته حين عرف للوقف باستحصان البدء بعده ، وآه أنواعا هي:

- ١- المبتدأ.

- ٢- الفعل المستأنف به.

- ٣- المفعول المحذوف فعله.

- ٤- الشرط.

- ٥- الاستفهام.

- ٦- النفي.

وفيما يلي شرح وتفصيل لكلامه:

أولاً: المبتدأ:

هو ما تبدأ به جملة اسمية تفيد معنى معيناً ، من خلال إسناد صفة أو اسم إلى ذلك المبتدأ،^(٣) أسواء وصلت بما قبلها أم فصلت عنه.

فلذا قلنا مثلاً:

(سرت في الليل ، السير متعة).

(١) من سورة القصص ٦٨/٢٨ والآية كاملة هي: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون).

والنص مختصر من الإتقان ٨٤/١

(٢) من سورة الأحزاب ١٣/٣٣ والآية كاملة هي: (وإذا قلت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويصنعون فريق منهم النبي يقولون إن يهوتنا سورة وما هي بسورة . إن يريدون إلا فراراً).

(٣) انظر في تعريف المبتدأ والجملة الاسمية: الكتاب ١٢٦/٢ والجمل ٣٦ وشرح التلخيص ٣٤/١ والتلخيص الصغير ٤١ ومع التلخيص ٩٣/١ وتسهيل الفوائد ٤٤ وشرح الأئسموني ٤٥/١ وحاشية الخضري ٨٨/١.

فممتعة السير التي أفادت بها الجملة الثانية الاسمية ليس لها علاقة بما قبلها بل يمكن الابتداء بها وفصلها عما قبلها مع وجود المعنى كما هو.
أي إن هذه الجملة الاسمية لها تركيبها الخاص من حيث الإسناد وهو مستقل عما سواه، ولذا يحسن الابتداء بها.

من هنا نجد الآية التي مثل بها ابن طيفور بها جملتان هما:

أ- كبر على المشركين ما تدعوهم إليه.

ب- الله يجتبي إليه من يشاء.

فمعنى الجملة الأولى وتركيبها غير معنى الجملة الثانية وتركيبها، ولذا رأي السجواني استحسان الابتداء بالآخيرة.

ثانياً: الفعل المستأنف به:

ويقصد به ما تبدأ به جملة فعلية تنفيد إسناد حدث معين إلى اسم مرفوع أو صفة مرفوعة يسمى أي منهما فاعلاً؛^(١) سواء اتصلت بغيرها عن طريق العنف أو التوكيد، أم استقلت بنفسها.

فإن قلنا مثلاً:

(الشمس مشرقة تتبع للنفا).

فالجملة الفعلية التالية للاسمية لا علاقة لها - من حيث البناء^(٢)

أو الإعراب - بالجملة الأولى، ولذا يحسن الابتداء بها وكذلك الحال

مع الجملتين في الآية سب - ب. هما:

١- وليبدلتهم من بعد خوفهم أمنا.

٢- يعبدونني..

(١) انظر في تعريف الجملة الفعلية: شرح المفصل ٧٤/١ ونسبيل الفوائد ٤٨، ٧٥ ونوع الهوامع

١٥٩/١ والجمال ١٠ وحاشية الخضري ١٥٨/١ وشرح الأشموني ٣٠٠/١.

(٢) لا أقصد بالبناء هنا ما هو ضد الإعراب بل التركيب Structure.

ولذلك ننق الفصل هنا حتى ينتبه السامع إلى المعنى الجديد، الذي نبأ به الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل المضارع، والتي تتطلب العبادة لله وحده.

وفي كذا الحالتين نجد الجملة الاسمية - في الحالة الأولى - والفعلية في الحالة الثانية ذات معنى نحوي معين، ولا علاقة بينهما - من حيث الإعراب والتركيب - وبين ما سبقهما من جمل. ولذلك كان البدء بكل منهما حسنا.

ثالثا: مفعول المحذوف:

ويقصد به السجاوندي الاسم المصدر المنصوب بفعل محذوف، يقدر من السياق. وقد سماه سيبويه (ت ١٨٠هـ) ما ينصب من المصادر^(١) ودرسه بقية النحاة في باب (حذف عامل المفعول المطلق).^(٢) ومعنى ذلك أن هذا المصدر المنصوب يكون مع فعله المحذوف جملة فعلية يحسن الابتداء بها، شأنها في ذلك شأن الجملة الفعلية المذكور فعلها، والتي عرضنا لها في الحالة السابقة. ولا علاقة - من حيث الإعراب وتركيب الجملة - بين هذا المفعول وما قبله، كما يتضح من سياق الآية التي مثل بها، وهي:

(١) قطر: فكتاب ٣١٩، ٣٢٨/٢.

(٢) انظر شرح المفصل ١١٣-١٢٤ وكافية في النحو ١١٧-١٢٩ وقمل في النحو ٣٠٥-٣٠٧ والجمع الصغير ١٠٧-١٠٨ وشرح السيوطي على الألفية ٩ ص مع الفروع ١-١٨٨-١٩٤ والأماليب الإنشائية ٧٥-٧٩ ومن ذلك قولنا في القصص المعاصرة (شكرا، عفوا) وكذا في لهجتنا المصرية المعاصرة قطر: بناء الجملة في لهجة لوحات قنطرة ١١١-١١٢.

(ما كان علي النبي من هرج فيما فرض الله له سنة الله في الدين
خلوا من قبل) (١) فكل من الجملة لا علاقة لها بالأخرى من حيث ما
ذكرناه سابقا.

فالأولى اسمية منفية منسوخة (كان) والثانية فعلية محذوفة
الفعل، الذي يدل عليه المفعول المذكور والتقدير :
«من لمحمد صلى الله عليه وسلم التوسعة عليه في التكاح سنة
الأنبياء الماضية» (٢).

ولذلك نجد أن هذا المفعول المحذوف فعله وبالتحديد هذه الكلمة
ذاتها (سنة) قد بدئت بها آيتان في القرآن الكريم هما:
- قوله تعالى (سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلا). (٣)

قوله تعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنةنا
تحويلا). (٤)
وهذا يدل على عنى نظرة السجلوندي في إطلاقه للوقف في هذا
الموضع.

رابعاً - الشرط:

ويقصد به أرب للشرط المكون من أداة الشرط وجملة
وجه انه، وهو أسلوب قلم بدته ، لا يتعلق بما قبله من حيث الإعراب
وتركيب الكلمات فيه. ويورد ابن طيفور الآية للتقية ليمثل بها على

(١) من سورة الأحزاب ٣٨/٣٣

(٢) تفسير القرطبي ١٩٥/١٤

(٣) من سورة الأحزاب ٦٢/٣٣

(٤) من سورة الإسراء ٧٧/١٧

ذلك، وهي قوله: سبحانه وتعالى: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في
النصائح من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).
فلسلوب الشرط هنا هو: (من يشأ الله يضلله).

وهو غير متعلق بالجملة الاسمية: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم
في الظلمات). ولذلك يطلق الفصل بينهما ويحسن الابتداء بأسلوب الشرط
المعنى تم في الجملة الاسمية بحين أسند الصمم والبيكم إلى المكذبين، ثم
جاءت المشيئة بغير أن الله له الضلال أضله.

من هنا وجدنا أن بعض الآيات قد بدأت بأسلوب الشرط. ومعطوم أن
الوقف لا بد منه في نهاية كل آية حتى تبدأ آية أخرى. مثل:

قوله تعالى: (ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنك لآخذ إلى الأرض). (٢)
وقوله تعالى: (لولا كتاب من الله سبق لمعكم فيما أخذتم عذاب
عظيم). (٣)

وقوله تعالى: (ومن يهد الله فهو المهتد، ومن يضل الله فلا تجد لهم
أولياء من دونه). (٤)

بل إن بعض سور القرآن الكريم قد بدأت بأسلوب الشرط وهي ست
نذكرها:

أ- سورة الواقعة، وأولها قول الحق سبحانه:
(إذا وقعت الواقعة).

ب- سورة المنافقون، وتبدأ بقوله عز وجل:

(١) قظر تفسير القرطبي ٤٢٢/٦.

(٢) من سورة الأعراف ١٧٦/٧.

(٣) من سورة الأنفال ٦٨/٨.

(٤) من سورة الإسراء ٩٧/١٧.

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين تكاذبون).

ج- سورة التكويز، وأولها قوله سبحانه وتعالى:
(إذا الشمس كورت).

د- سورة الانططار، وتبدأ بقول الحق تعالى:
(إذا السماء انططرت).

هـ- سورة الزلزلة، وتبدأ بقوله تبارك وتعالى:
(إذا زلزلت الأرض زلزالها).

و- سورة النصر، وتبدأ بقوله عز وجل:
(إذا جاء نصر الله والفتح).^(١)

خامساً الاستفهام:

ويقصد به أسلوب الاستفهام، أي جملة اسمية أو فعلية مسبوقة بأداة استفهام، وهو أسلوب قائم بذاته - مثل بقية أساليب الإنشاء في اللغة العربية - فلا يتعلق بما قبله من حيث الإعراب أو تركيب كلماته. ولذا أطلق المسجلون في الوقف قبله، واستحسن الابتداء به - ومثل له بقوله تعالى:

(ما كان نبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، يريدون عرض الدنيا).^(٢)

(١) نرقام هذه السور على التوالي هي: ٥٦، ٦٣، ٨١، ٨٢، ٩٩، ١١٠.

(٢) سورة الانططار ٦٨/٨

فالجملـة الأولى منفية ، انتهى معناها وتركيب كلماتها عند كلمة (الأرض) ، لتبدأ بعد ذلك جملة استفهامية أخرى ، لها نسق خاص في التركيب ، وهي :

(تريدون عرض الدنيا ؟) . وهنا نجد أن أداة الاستفهام غير موجودة ، وتغيرها :

(أتريدون عرض الدنيا أو هل تريدون عرض الدنيا) .^(١)
ولذلك احتـرـز السـجـاونـدي عند ذكره هذا الأسلوب فقال :
" الاستفهام ولو مقفرا " .^(٢)

فالتنـغيم هنا قـام مـقـام أداة الاستفهام ، والمضى يحتمل التقرير والاستكـرار .

نرى من هنا أن كثيرا من آيات القرآن العظيم قد بدأت بأسلوب الاستفهام ، وأول الآيات لازم الابتداء به مثل :

أ- قوله سبحانه : " ومن أحسن دينا ممن أسـنـم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفا ... " .^(٣)

ب- قوله جل وعلا : " ألم يأتيهم نـبـأ النـين من قبلهم ... " .^(٤)

ج- قوله عز وجل : " أـهـم يـقـسـمـون رـحـمة ربك ... " .^(٥)

كما أن هناك سورا بدأت بأسلوب الاستفهام ، وهي ست :

١ - سورة الإحسان ، وأولها قوله تعالى :

(١) ولم يقل بـلـها تحـمل مـعـنى الاستفهام إلا السـجـاونـدي وحده وقال بخبريتها القرطبي وابن كثير والفخر الرازي . انظر تفسير القرطبي ٤٦/٨

(٢) الإتنان ٨٤/١

(٣) من سورة النعام ١٢٥/٤

(٤) من سورة التوبة ٧٠/٩

(٥) من سورة الزخرف ٣٢/٤٣

" هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " (١)

٢ - سورة النبا ، وأولها قوله سبحانه:

" عم يتساءلون "

٣ - سورة الغاشية ، وأولها قوله تبارك اسمه:

" هل أتاك حديث الغاشية "

٤ - سورة الشرح ، وأولها قوله تبارك اسمه:

" ألم نشرح لك صدرك "

٥ - سورة الفيل ، وأولها قوله جل وعز:

" ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل "

٦ - سورة الماعون ، وأولها قوله سبحانه:

" أرايت الذي يكذب بالدين " (٢)

والله اعلم بالصواب:

المقصود بالنفي هنا الجملة المنفية ، سواء كانت اسمية أم فعلية .

وما يصدق على الجملة الفعلية المثبتة (الفعل المستأنف به) ، وما

يصدق على الجملة الاسمية المثبتة (المبتدأ) - فيما سبق - يصدق هنا على

جملة النفي . ولذلك استشهد السجاوندي بالتنوعين ، الاسمية المنفية وهي

قوله سبحانه: " ما كان لهم الخيرة "

والفعلية المنفية ، وهي قوله عز وجل: " إن يريدون إلا فرارا "

(١) قال المفسرون إن معنى (هل) هنا هو (قد) وذلك يتحول الاستفهام إلى الخبر المحقق به (قد) نظر:

تفسير قنيمابوري (عرقب القرآن ورغائب الفرقان) ١٠٩/٢٩

(٢) وأرقام هذه قصور على التوالي هي ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ .

ونلاحظ أن بناء كلتا الجملتين لا يختلف عنه حالة الإثبات، إلا ما كان من قاتون الزيادة فيهما، أي زيادة أداة النفي المناسبة للمعنى المراد. ونلك على النحو التالي:

١- كان لهم الخيرة + (ما) كان لهم الخيرة.

سما+الجملة نفسها.

٢- يريدون فرارا + (إن) يريدون (إلا) فرار. ^(١)

إن + الجملة + إلا + المفعول به

فلم يحدث تقديم أو تأخير، أو تنكير أو تعريف، أو تنفية أو جمع إلا ما كان من الفصل بين المفعول وفاعله من ناحية، والمفعول به من ناحية أخرى، في الجملة الثانية.

بل الجملة كما هي مع زيادة مورفيم النفي ولا علاقة بين أي من هاتين الجملتين وما قبلها، من حيث التركيب أو الإعراب. ففي الحالة الأولى نجد الآية التالية:

(وذلك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة).

فالجملة الأولى ^(٢) تخبرنا أن الله تعالى له حرية المضيئة والاختيار

فيما يخلق، والثانية تبين أن ليس للبشر اختيار. ^(٣) وكل منهما لها تركيبها الخاص بها.

(١) لاحظ هنا أن مورفيم النفي (إن) قد قُيِّم بمورفيم الاستثناء (إلا) وتحولت الجملة هنا من الإثبات إلى النفي ثم إلى الإثبات مع الحصر والتوكيد مرة أخرى: يريدون فرارا (إن) يريدون فرارا: إن يريدون إلا فرارا. - إثبات نفي: إثبات توكيد وحصر.

(٢) إن النظرة المسطحية تنظر تركيب (وذلك يخلق ما يشاء ويختار) على أنه جملة واحدة، اسمية. أما النظرة العميقة فتري فيه أربع جمل هي: -جملة الخبر (يخلق). -جملة صلة الموصول (يشاء).

ب-جملة صلة الموصول (يشاء).

وفي الحالة الثانية نرى الآية:

(ويستلزن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي
بعورة، إن يريدون إلا فرارا). فالجملة التي نحن بصددنا لا تتعلق من حيث
الإعراب أو التركيب بما سبقها بل هي مستقلة بنفسها. . .
ولذلك نرى السجاوندي يعقب على كل الأحوال الستة السابقة
فيقول:

"حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق" (١) أي لا ارتباط بينها وبين
ما سبقها من جمل أو تركيب لغوية.
أما القسم الثالث أو لوجه الثالث - كما يسميه السجاوندي - من
أقسام الوقف، فهو الجائز، ويعرفه بقوله:
"ما يجوز فيه الوصل والفصل متجانب الموجبين من الطرفين نحو
(وما أنزل من قبلك)، فإن واو العطف تقتضي الوصل، وتقدم المفعول على
الفعل يقطع النظم، فإن التفسير: ويؤمنون بالآخرة" (٢).
إنه هنا يشير إلى الوقف الجائز، أي ما يجوز فيه الوقف، وإذا كان
الوقف ضد الابتداء، فكذلك يجوز فيه الوصل.
ويمثل له بقوله عز وجل:
(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون). (٣)

ج- جملة معطوف على جملة الصلة (يختار) أو على جملة (يخلق)

د- الجملة قرينة التي تضمنت تلك الجملة كلها، وهي الاسمية المبدوءة بالمركب الإضافي (وبك).

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣٠٥/١٣

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٨٥/٨٤/١

(٣) المرجع نفسه ٨٥/١

(٤) من سورة البقرة ٤/٢

فيرى أنه يمكن الوقف عند المركب الظرفي (قبلك)، كما يمكن
للوصل حتى نهاية الآية ويظل ذلك بأن كلاً منهما صحيح.

فللوصل يصح لوجود مورفيم العطف (الواو)، الذي عطف جملة
(وبالآخرة هم يوقنون) على جملة (يؤمنون...).

أي إنه يشير إلى أن كلتا الجملتين تكون ركناً من ركني المركب
العطفى، الذي هو: (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون). ولا يمكن الفصل بين ركني هذا المركب - شأنه شأن بقية
المركبات - ولذلك يعضد نظريته بإعادة ترتيب الجملة المعطوفة
عليها، فيقدها ب:

(يوقنون بالآخرة) - وحينئذ يحدث التشابه بين الركنين من حيث استمرار
زمن الفعل وتعنيته بمورفيم الجر (الباء).

وهذه نظرة عميقة لهذه الجملة، حيث فطن إلى أصل تركيبها، فأعاد
ترتيب أجزائها، فقدم الفعل والفاعل على المفعول، وبذلك تم فصل بينها وبين ما
سبقها.

أما باعتبار النظر إلى البنية السطحية،^(١) فإن جملة (بالآخرة
هم يوقنون) جملة مقدم فيها المفعول به الذي هو المركب

(١) مصطلح البنية الصلبة Deep Structure والبنية السطحية Surface Structure قال بهما لغوي أمريكي
معاصر هو نشومسكى N.Chomsky وذلك في إطار نظريته التوليدية التحويلية Transformational Generative
ويشير بمصطلح البنية السطحية إلى شكل الجملة الفونولوجي المكتوب أو المنطوق، على حين يشير
بمصطلح البنية الصلبة إلى الفهم والتقدير والتأويل لهذا الشكل الفونولوجي. وقد ناقض اللغويون
الترييون في شرحهما. انظر:

١-N.Chomsky Cartesian Linguistics; P. ٤٦.

٢-N.Chomsky; Language and mind ; p. ١٧

٣-John Lyons; New Horizons; p. ٢٧

٤-R. Wordhuagh; Introduction to Linguistics; p. ١٢٢, ١٢٤

الحرفي (بالآخرة)، ولهذا تختلف عن تركيب جملة (يؤمنون بما...)، وهو ما أشار إليه السجاولندي بقوله: (قطع النظم)، ولهذا أجاز الفصل بينهما. والقسم الرابع من أقسام الوقف عند ابن طيفور هو المجوز لوجه. ويقول فيه:

"والمجوز لوجه نحو (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة)، لأن الغاء في قوله (فلا يخفف عنهم) تقتضي التسبب والجزاء، ذلك يوجب اللوصل، ويكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجهاً". (١) إنه يستشهد هنا على هذا القسم الرابع بقوله عز وجل: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون). (٢)

حيث يجيز الوقف على الجملة الاسمية، التي هي: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة). ثم يبتدئ جملة جديدة، هي الفعلية المبدوءة بالمضارع المنفي (فلا يخفف عنهم العذاب).

والملاحظ هنا أن الجملتين مرتبطتان بالغاء التي تقتضي الجزاء وبذلك يجوز انوصل، ولا يوقف على أولهما، ولكن مجئ الجملة الثانية الفعلية بصورة الفعل المضارع، غابَ يجوز الفصل بينهما والبدء بها قياساً على الفعل المستأنف به - كما مضى شرحه. (٣)

والقسم الأخير من أقسام الوقف يسميه ابن طيفور (المبرخص ضرورة).

(١) الإتيان في علوم القرآن ٨٥/١

(٢) سورة البقرة ٨٦/٢

(٣) انظر ص ٦٠ من هذا البحث.

ويعرفه بقوله:

" والمرخص ضرورة مالا يستغنى ما بعده عما قبله، ولكنه يرخص
لاتقطاع النفس وطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود، لأن ما بعده جملة
مفهومة، كقوله (والسماء بناء)، لأن قوله (وأنزل) لا يستغنى عن سياق
الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أن الجملة مفهومة".^(١)

يرى هنا أن علة الوقف هي انقطاع النفس وطول الكلام، ذلك أن
الصوت الخارج من الجهاز الصوتي لا بد له من هواء خارج من
الرننتين. وهذا الهواء يتراوح بين إتمام وآخر، فقد يخرج الهواء بمقدار
كاف لإنتاج عدة أصوات متتابعة تتكون منها كلمات وجمل تؤدي دلالة
معينة، وقد ينتهي الهواء عند كلمة معينة، فيقف القارئ بعدها، ثم يكمل
دون الرجوع إلى ما سبق، شريطة أن يكون هذا الكلام المبتدأ به ذا معنى
مفهوم من الكلام الموقوف عنده؛ مع عدم استغناء أحدهما عن الآخر.

يوضح ذلك السجاوندي باستشهاده بالآية الكريمة التالية:

(الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء
فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون).^(٢)
فالوقف على جملة (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء).

يفهم منه المعنى المراد، والبدء بالجملة القطعية (وأنزل من السماء
ماء) لا يصح، إذ إنها جملة تكون ركنا من ركني المركب العطفى مع جملة
(جعل لكم)، والضمير في فعليهما (جعل - أنزل) يعود على الضمير
الموصول (الذي) ولما كان الضمير في الفعل (أنزل) مفهوما أي مقدرا من

(١) الإيجان في علوم القرآن ٨٥/١

(٢) سورة بقرة ٢٢/٢

السياق، يعود على الحق سبحانه ،فقد رخص البدء بجملة هذا الفعل(أنزل من السماء ماء). التي أفادت إنزال الماء من السماء بفترة الله تعالى،ومع ذلك لم تستغن عما قبلها،بل ارتبطت به من ناحيتين هما العطف وضمير الفاعلية في الفعل (أنزل) ؛ الذي يحيل إلى الله تعالى .
هذه هي دراسة السجاوندي لأنواع الوقف ،وهي دراسة تحليلية واعية،لم تترك مصطلحا إلا مثلت له وشرحته ، كما تمتاز بعسق النظرة وكثرة التفصيلات.

2- ابن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ)

جاءت دراسة ابن جزى الكلبي للوصل والفصل في مقدمة كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) ، كما سبق عرض ذلك في حينه^(١) .

وقد قدم لكلامه في الوصل والفصل بقوله "اختلف الناس في كثير من الوقف"^(٢) ثم يفصل هذا الاختلاف فيري (من أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل)^(٣) غير أنه لم يعرف هذه الأقوال أو يمثل لها ، أو يشرحها أو يتكلم عن تسميتها ، بل ينتقل فجأة إلى تعريفه ونظرته للوقف : ١٠٠ :

(وهي أربعة أنواع وقف تام ، وحسن ، وكلف ، وقبيح)^(٤) .

ويشرح ابن جزى هذه الأقسام فيقول :

"وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى ، فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقر إليه كذلك ، لم يجز الفصل بين كل معصوم وعامله ، وبين كل ذي خير وخبره ، وبين كل ذي جواب وجوابه ، وبين كل ذي موصول وصلته ."^(٥)

(١) انظر ص ٤٢ هذا البحث

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٢/١

(٣) المرجع نفسه ١٢/١

(٤) المرجع نفسه ١٢/١ وقد أتت كلمة الوقف ، حيث أشار إليها بالضمير (هي) ، وهذا يقتدر إلى اللذهن احتمالان :

الأول : أن يكون قد وصف عملية الوقف أو حالة الوقف ، وبذلك يحيل للضمير (هي) "ليها" .

الثاني : أن يكون الأصل الذي حقق به الضمير (هو) ، ونقله (هي) . لنعم تحقيق الكتاب على يد محقق آخر ، وعدم رؤيتنا المخطوطة الأصلية ، لا نستطيع ترجيح أي من الاحتمالين على الآخر .

فهو هنا يبين سبب تقسيم الوقف ، قبل أن يورد هذه الأنقسام ، حيث يرى أن الإعراب والمعنى هما المعول عليه في ذلك . فلا يجوز عنده لفصل بين المتعلقات في المعنى والإعراب في الوجود التالية :

١ : بين كل معول وعامله :

فلا يفصل بين الأفعال الناسخة ومعموليها أو أحدهما ، وبين الحروف الناسخة ومعموليها أو أحدهما ، وبين مورفيمات التنصب وأفعالها المنصوبة ، وبين مورفيمات الجزاء (الشرط) وأفعالها المجزومة ، ومورفيمات الجر ومجروراتها ، وبين الفعل وفاعله أو مفعوله .

فكل هذه تناليت تمثل عاملا ومفعولا ، حيث تعمل (أن) التنصب في الفعل المضارع ، وتعمل (في) الجر في الاسم بعدها .. وهكذا .

و إذا قلنا مثلا : (إن) ووقفنا ، دون نطق كلمة بعدها ، قلن يفهم شيء ، لأن المعنى قد يتر . ولا يتم إلا بتكر معموليها ، اسمها المنصوب وخبرها المرفوع ، وعندئذ يكتمل المعنى ليصير :

(إن ربي لسميع الدعاء) ^(١) أي إن المبتدأ هو المركب الإضافي (ربي)، والخبر هو المركب الإضافي أيضا (لسميع الدعاء) ، وكلاهما يفتقر إلى ما قبله ، الذي لا يفهم إلا بهما كذلك .

كذلك إن قلنا : (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من) .

ووقفنا عند عمل الجر (من) نبتز المعنى وما فهم . لذلك لابد من إتمامه بتكر معول (من) المجرور ، وهو المركب الظرفي (حولك) ، لتصير الجملة :
(ولو كنت فظا غليظا - نفضوا من حولك) ^(٢) .

٢ : بين كل ذي خبر وخبره :

والأخبر في العربية ثلاثة هي :

أ - خبر للمبتدأ ، وهو مرفوع .

^(١) من سورة إبراهيم ٣٩/١٤

^(٢) من سورة آل عمران ١٥٩/٣

ب- خبر الأفعال للنسخة ، وهو منصوب .
ج- خبر الحروف للنسخة ، وهو مرفوع .
وتوجد هذه الأخبار داخل نطاق جملة اسمية ؛ بحيث تكون ركنًا
أساسيًا من ركنيها ، وأصحاب هذه الأخبار أو معمولاتها هي- على
التوالي :

أ- المبتدأ .

ب- اسم الفعل للناسخ .

ج- اسم الحرف للناسخ .

ولكننا - في الفقرتين (ب ، ج) نغزو الأخبار إلى الفعل للناسخ
والحرف للناسخ ؛ فنقول مثلاً (خبر كان أو خير لعل) ، مع أن هذه
الأخبار معند إليها اسم الفعل الإعرابي دون الإسناد الذي ظل كما هو .
فلن قلنا مثلاً قول الله تعالى :

(هذا عذب فرات سلق شرابه) .^(١)

ووقفنا عند المبتدأ (هذا) ؛ بحيث تفصل بقية الجملة ؛ لما فهمنا منه
شيئاً كما أن الابتداء بالخبر (عذب فرات) لا يفيد شيئاً أيضاً . ولا يفهم المعنى إلا
بوصلهما معاً . فنو الخبر هنا هو المبتدأ (هذا) ، وخبره هو المرفوع بعده
(عذب) .

٣: بين كل ذي جواب وجوابه :

والأجوبة في العربية هي :

أ- جواب الشرط .

ب- جواب القسم .

^(١) سورة فاطر ١٢/٣٥

ج- جواب الأمر أو الطلب .

د- جواب النهي .

وذلك كقوله تعالى :

أ- (ومن يشكر فأبما يشكر لنفسه) . (١)

ب- (وتالله لأكيدن أصنامكم) . (٢)

ج- (ادعوني أستجب لكم) . (٣)

وقول ابن جزى بعدم الفصل بين كل ذي جواب وجوابه يعني إتمام نطق تلك الأساليب دون فصل بين أركانها . وهي أساليب مستقلة بنفسها في الإعراب والمعنى .

ومع ذلك فإنه يمكن الفصل بين أجزاء أسلوب القسم في حالات ثلاث هي :

أ- وجود جملة القسم في آية ، وجوابه في آية أخرى . كقوله تعالى : (والعصر - إن الإنسان لفي خمر) . (٤)

وقوله تعالى : (والنجم إذا هوي . ما ضل صاحبكم وما غوي) . (٥)

ب- وجود العطف على المقسم به ، كقوله تعالى :

(والنازعات غرقا . والناشطات نشطا ... يوم ترجف الراجفة) . (٦)

(١) سورة لقمان ١٢/٣١

(٢) سورة الانبياء ٥٧/٢١

(٣) سورة غافر ٦٠/٤٠

(٤) سورة العصر ٢٤١/١٠٢

(٥) سورة النجم ٢٠١/٥٣

(٦) سورة النازعات ٦٩ / ١-٦

وقوله سبحانه : (والتين والزيتون . وطور سينين ... لقد خلقنا
الإيمان في أحسن تقويم) . (١)

ج- نكر قصة موجزة بين جملة القسم وجملة الجواب : وذلك كما
في سورة الفجر : (والفجر . وليال عشر . والضفح والوتر ألسم تر
كيف فعل ربك بعاد ... إن ربك لبالمرصاد) . (٢)
ومعلوم أن رؤس الآي في نفسها مقاطع ، يجب الوقوف عندها -
كما سبق .

ولذلك لابد من الوقف على نهاية كل آية . ولذا يفصل بين جملة
القسم وجوابه .

كما أن هناك جمل شرط يوقف عليها ، لعدم وجود جواب ظاهر
منطوق لها ، مثل قوله تعالى :

(ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض أو كلم به
الموتى) (٣) .

وكذلك قد توجد جمل شرط في آية ، وجوابها في آية أخرى ؛
ولذلك يوقف على كل منها بقطع الجواب عن شرطه ؛ كما في قوله تعالى :
(إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة) . (٤)

وأیضا حين العطف على جملة للشرط قبل الجواب . كما في قوله
سبحانه : (إذا جاء نصر الله والفتح ... فسيح بحمد ربك ...) . (٥)

(١) سورة التين ١/٩٥-٤

(٢) سورة الفجر ١/٨٩-١٤

(٣) سورة الرعد ٣١/١٣

(٤) سورة الواقعة ٢٠/٥٦

(٥) سورة النصر ١/١١٠-٣

٤: بين كل ذي موصول وصلته :

ونو الموصول هو الاسم عند النحاة العرب ، أو الضمير الموصول .
وهو ضمير مبهم لا يزال إبهامه إلا بضمير شخصي منفصل أو متصل ؛
فإن كان متصلا فهو في جملة فعلية ، وإن كان منفصلا فهو في جملة
اسمية وكلتا الجملتين تسمى صلة الموصول ، ولا محل لها من
الإعراب .^(١)

فإبهام الضمير الموصول لا يفهم إلا بجملة بعده هي جملة الصلة ،
وعلى ذلك فلا يمكن فهم المراد من هذا الضمير إلا بذكر هذه الجملة بعده
ففي قوله تعالى :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .^(٢)

إن وقفنا عند الضمير الموصول (الذين) لا نجد أية دلالة في ذهن:
بل لابد من توضيح المراد من هذا الضمير ، وهو ما تفسره الجملة الفعلية
(آمنوا) . التي هي الصلة لهذا الموصول، والضمير العائد فيها مورفيم
الفاعلية (واو الجماعة).

كذلك في قوله تعالى :

(وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين) .^(٣)

^(١) انظر الكتاب ١/١٣٨ ، ٢/١٠٥-١٠٩ وشرح المفصل ٢/١٣٨-١٦٠ والكافية
٢/٣٥-٤٦ وتسهيل القوائد ٣٣-٣٨ ومغني اللبيب ١/٧٧-٧٨ ، ٢٦٩-٣٢٧ وشرح
الاسموني ١/١٥٥-١٣٦ ومع الهوامع ١/٨١-٩٣ .

^(٢) سورة الكهف ١٨/١٠٧ ، ٣٠ .

^(٣) سورة الزخرف ٤٣/٧١ .

إن وقفنا عند كلمة (ما) - التي هي ضمير موصول - لم نفهم المراد منها ، إلا إذا وصلنا بجملة (تشتبه) التي هي جملة الصلة ، والضمير العائد فيها هو مورفيم المفعولية المتصل (الهاء) .

ثم يتدرج ابن جزى في الكلام ، فيصف لنا الوقف الكافي ، فيقول : " إن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني ، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله فالوقف على الأول كاف . وذلك في التوابع والفضلات ، ^(١) الحال والتمييز ، والاستثناء المتصل أكد من المنقطع ، وروى : التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات أكد من وصلها إذا كانت جملة " .^(١)

يعرف الوقف الكافي بأنه ما كان ما قبله مستقياً عما بعده ، وما بعده غير مستغن عنه . أي ما كان قبله ركنان أساسيان في الجملة ، وما بعده فضلة أو تابع . ومثل لذلك بالحال المفرد والتمييز ، وغيرهما كالصفة المفردة ، والبدل المفرد ، والاستثناء المتصل . ويرى أن هذه التوابع إن جاءت جملة فهي أولى بالفصل من الوصل ، وكذلك الاستثناء إن جاء منقطعاً .

ذلك لأن الجملة تستقل بمعناها عند تمام ركنيها الأساسيين ؛ وهما الفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، والمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية . ثم تأتي الفضلة أو التوابع متطقة بأحد ركني الجملة ، فالحال مثلها قد تكون مبينة لهيئة الفاعل أو مؤكدة للفعل أو مبينة الخبر . وبذلك لا تفهم وحدها ، ولا تستقل في معناها . بل يمكن فهم ركني الجملة فقط عند الوقف عليهما ؛ وهو ما سماه ابن جزى (الوقف الكافي) . ونوضح ذلك بالآيات التالية :

(١) التمهيد لعلوم التنزيل ١٢/١

أولاً : الحال ،

- أ- قوله تعالى : (فتبسم ضاحكا من قولها) .^(١)
ب- قوله تعالى : (وجاء أهل المدينة يستبشرون) .^(٢)
فهنا نجد جملتين فعليتين هما :
أ- فتبسم (هو) .
ب- وجاء أهل المدينة .

وقد أتت هاتان الجملتان المعنى المراد منهما ، وهو التبسم في الأولى ، ومجيء أهل المدينة في الثانية . ولا تستقل الحال الأولى (ضاحكا) بمعناها حين النطق بها ، فهي مؤكدة للفعل (تبسم) ، ولذلك لا بد من نطقها متصلة مع الجملة كلها .

وفي الجملة الثانية نرى الحال جملة فعلية هي (يستبشرون) ، وهي مبينة للفاعل (أهل المدينة) ، ولكنها تستقل بمعنى معين ، لكونها جملة . وهو ما فطن إليه ابن جزي في قوله : (ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات أكد من وصلها إذا كانت جملة) .^(٣)

أي إنه يمكن الفصل عند نهاية الركنين الأساسيين ، والبدء بالجملة الفعلية (يستبشرون) . ولولا الموقع الوظيفي لها (الحال) لأشبهت الفعل المستأنف به عند المجاويدي ؛ فيما سماه (الوقف المطلق) .^(٤)

(١) سورة النمل ١٩/٢٧

(٢) سورة الحجر ٦٧/١٥

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١٢/١

(٤) انظر ص ٥٨ من هذا الكتاب .

ثانياً : الاستثناء :

- أ- قوله تعالى : (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) . (١)
ب- قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) . (٢)

نجد في الآية الأولى أن الاستثناء منقطع ، أي ليس المستثنى جزءاً من المستثنى منه . فليس الظن جزءاً من العلم . (٣)

وهو ما رأي ابن جزي الوقف عنده كافياً خلافاً للاستثناء المتصل في الآية الثانية . حيث إن المستثنى جزء من المستثنى منه ، فمن شهد بالحق جزء ممن لا يملك الشفاعة إلا أنهم يملكونها . ولا يؤدي المستثنى معنى مستقلاً بنفسه إذا فصل عما قبله ، بل يفهم من نطق الجملة كلها معاً حتى يستقيم المعنى . ورغم ذلك فإن ما قبل إلا يمكن نطقه وحده والوقف عليه ، وله معنى يختلف بعض الشيء عنه إذا وصل بالمستثنى .

فجملة (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قد أفادت عدم امتلاك الذين يدعون الشفاعة من دون الله ، وهو معنى محدد واضح . وإذا اتصل بالمستثنى وجملة الصلة ، ظهرت الجملة كاملة واضحة ؛ فهناك من يملك الشفاعة وهم الشهداء بالحق العالمون به . (٤) ولذا رأي ابن جزي أن الوصل هنا أكد من الفصل.

(١) سورة النساء ١٥٧/٤

(٢) سورة الزخرف ٨٦/٤٣

(٣) انظر : معاني القرآن ٤٧٩/١ - ٤٨٠

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١٣٦/٤ وتفسير القرطبي ١٢٢/١٦ ، ١٢٣

وهناك استثناء متصل يمكن الوقف بعد المستثنى منه ثم البدء بأداة الاستثناء دون الرجوع إلى المستثنى منه ، ويكون الوقف هنا تلمذا ، وذلك عندما يكون المستثنى منه في آية ، والمستثنى في آية أخرى . ذلك لأن رؤوس الآيات مقاطع - كما سبق . ومثال ذلك قوله - وجل :

(وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).^(١)

وقوله سبحانه : (كل نفس بما كسبت رهينة . إِلَّا أَصْحَابَ اليمين)^(٢)

وقوله تعالى : (لَا يَنُوقُونَ فِيهَا بِرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا) .^(٣)

ثم يستطرد ابن جزي ليعرف الوقف الحسن والتلم فيقول :

" وإن كان الكلام مستقلا والثاني كذلك ، فإن كلنا في قصة واحدة فالوقف

على الأول حسن ، وإن كلنا في قصتين مختلفتين فالوقف تلم " .^(٤)

وهذا كلام معمم لم يخبرنا فيه صاحبه عن علاقة فواصل الآيات به ،

وكيف يتكون الكلام ذو الطرفين ؟ وكيف يستقل كل منهما عن الآخر ؟ وهل

هذا الاستقلال في المعنى أم في الإعراب ؟

فأسأله الاستقلال في المعنى فهو لا يوجد في الآية الواحدة ، إذ لا بد

من تعلق الكلام بعبءه ببعض أو نظمه - كما عبر عنه الجرجاني (ت

٣٩٥ هـ) .^(٥)

(١) سورة الشعراء ٢٦/٢٢٦، ٢٢٧ .

(٢) سورة المائدة ٧٤/٣٨، ٣٩ .

(٣) سورة النبا ٧٨/٢٥، ٢٤ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١٢/١ .

(٥) انظر : دلائل الإعجاز ٥١، ١٢ وإيتقان في علوم القرآن ١٠٩، ١٠٨/٢ والبرهان في علوم القرآن ٣٩/١ .

وذلك عن طريق العطف أو التوكيد أو الوصف أو النفسي أو الاستدراك أو الاستثناء . وليس هناك انفصال بين كلمات الآية الواحدة مهما تعدت جملها ، ولننظر إلى الآية التالية مثلا :

(وقال إنما اتخنتم من دون الله أوثقا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وملأكم النار وملأكم من ناصرين)^(١)

في هذه الآية نجد ست جمل هي :

أ- وقال

ب- إنما اتخنتم من دون الله أوثقا مودة بينكم في الحياة الدنيا

ج- ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض .

د- ويلعن بعضكم بعضا .

هـ- وملأكم النار .

و- وملأكم من ناصرين .

وقد تطلعت هذه الجمل بعضها ببعض ، فالجملة الأولى فعلية ابتدائية ، وكل الجمل بعدها متعلقة بها ؛ الثانية بمقول القول ، و بالعطف بالمورقيم (ثم) في الجملة الثالثة . وبأولوا في الثلاث جمل الباقية . فتخلل الأوثان من دون الله في الدنيا يسبب للكافرين الاعتراف بتكفير بعضهم بعضا في الآخرة كما يسبب لهم اللعن ، وإيواءهم النار ، وعدم وجود ناصرين لهم .^(٢)

(٢) سورة العنكبوت ٢٥/٢٩

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٠٩/٣ وتفسير القرطبي ٣٣٨/١٣ ٣٣٩.

وكذلك استقلال المعنى بين الآيات لا يوجد ، فلا انفصال بين آية و أخرى ، بل تفضي كل آية إلى ما بعدها ، بل كل سورة إلى ما بعدها ، فالقرآن الكريم كله قطعة واحدة : (١)

ولنأخذ مثلاً على تلك الآيات التالية :

(إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر . إن سائلك هو الأبتَر) . (٢)
نجد هنا ثلاث آيات ، الأولى مسببة للأخريين ، فوجود الكوثر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدعاة للصلاة والنحر ، وبقاء العقب ، وبتر الكاره المبغض أبي جهل . (٣) وهكذا نجد المعنى حلقات يفضي بعضها إلى بعض ، ولا تستقل آية بمعناها دون سواها . وأما الاستقلال من حيث الإعراب فهو سهل ، وكثيراً ما يحدث أن تستقل كل جملة بتركيبها وإعرابها ، عما قبلها وما بعدها . وقد أضربنا إلى ذلك في حديثنا عن الوقف المطلق عند السجاوندي . (٤)

وما قال به ابن جزي الكلبي عن وجود الكلام المستقل عما قبله في قصة واحدة ، فلعله يقصد استقلال الإعراب والتركيب ، لا استقلال المعنى . فمثلاً في قصة داود عليه السلام يقول الحق سبحانه :
(ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) . (٥)

(١) انظر : إعجاز القرآن ٥٨ والإتيان في علوم القرآن ١٠٨/٢ ، ١٠٩ .

(٢) سورة الكوثر ١٠٨

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥٥٦/٤ - ٥٥٩ وقيل أبو لهب والعاص بن وائل .

(٤) انظر ص ٥٨ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٥) سورة مباء ١٠/٣٤

حيث توجد هنا جمل ثلاثة فيها ، لكل منها تركيبها الخاص بها ، وإعرابها وهي :

١- ولقد آتينا داود منا فضلا .

٢- يا جبال أوبي معه والطير .

٣- وأتينا له الحديد .

وهي جمل فعلية . إلا أن الثانية قد استعاضت عن الفعل في أولها بمورفيم النداء (يا) (١) . وبذلك يكون الوقف حسنا عند نهاية كل جملة (كلام) ؛ لاستقلاله عما قبله في الإعراب والتركيب .

ومن ناحية استقلال الكلام عما قبله في آية واحدة ، وكل منهما في قصة مختلفة ، فلا يوجد في القرآن الكريم . إذ الانتقال من قصة إلى أخرى لا يأتي إلا عقب الفواصل ، لا وسط الآية نفسها .

فحين يتكلم سبحانه وتعالى عن تحريم الأرض المقدسة على بني إسرائيل ، وتبيهم فيها أربعين سنة ، فتلك قصة . وحين يتكلم عن قابيل وهابيل ابني آدم عليهم السلام ، يأتي به في آية أخرى عقب الفاصلة ، وتلك قصة أخرى . وذلك في قوله تعالى :

(قل فبما محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين . واذل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قل لا حملنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) . (١)

(١) اختلف نحاة العربية القدماء في جملة النداء ؛ هل هي اسمية أم فعلية ، فعلى البنية السطحية نراها اسمية ، وبقيدر فعل بدلاً من المورفيم (يا) نجدها فعلية : أى على أساس النظر إلى بنيتها العميقة سورة المائدة ٢٦/٥

وبذلك يكون الوقف التلم عند ابن جزي الكلبي على رؤس الآيات .
أما النوع الرابع وهو الوقف القبيح ، فلم يعرفه أو يمثل له . ولعله
أراد خلاف ما ذكر ، فعرفه تعريفا سلبيا ؛ أي مالم يكن تاما ولا حسنا ولا
كافيا فهو قبيح .

ثم يختم كلامه فيرى أنه قد " يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو
المعنى " (١). وتلك تلخيص لما سبق : فمرة يكون الوقف تاما ، ومرة أخرى
يكون حسنا ، وثالثة يكون كافيا ، ورابعة يكون قبيحا . وهذا عن طريق
المعنى وتعلق الجمل بعضها ببعض ، في التركيب والإعراب - كما سبق .
ثم يعطي رخصة للقارئ : فيرى أنه " قد يقف لبيان المراد وإن لم
يتم الكلام " (٢) غير أنه لم يمثل لهذا المراد أو نوع الوقوف عندئذ .
وهكذا جاء كلام ابن جزي الكلبي مقتضبا موجزا غير مشروح أو
مستشهد من القرآن الكريم .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٢/١

(٢) المرجع نفسه ١٢/١

٥- بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)

لا نجد للزركشي رأيا في الوقف أو القسم ، بل إنه جمع آراء غيره ممن سبقوه ، دون أن يعزوها إلى أصحابها بل كنى عنهم بقوله :
(أكثر القراء) مرة و(بعضهم) مرة أخرى . يتضح ذلك في قوله :
"والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تلم مختار ، وكلف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك . وقسمه بعضهم إلى ثلاثة ، وأسقط الحسن ، وقسمه آخرون إلى اثنين ، وأسقط الكافي والحسن " .^(١)
ثم راح يفسر هذه الأقسام ويعرفها تعريفات تكاد تتطابق مع ما قاله أبو جعفر النحاس من قبل .^(٢) إلا أنه لم يشر إليه ؛ عكس ما فعل مع جمال الدين الفرغلي .^(٣)

ومع ذلك يري أن هناك وقف الواجب ؛^(٤) وهو قبل (والله) : ثم البدء به ، في قوله عز وجل : (حذر الموت والله محيط بالكافرين) .^(٥)
ولكن لم يعرفه أو يفسره . كما رأى أن هناك وقفا للتنزيه^(٦) في قوله تعالى : (وهو الله) ثم البدء (في السماوات وفي الأرض يعلم سرركم وجهركم) .^(٧)

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٥٠/١

(٢) انظر ص ٥٣ من هذا الكتاب

(٣) انظر البرهان ٣٥٩/١ - ٣٦٢

(٤) انظر المرجع نفسه ٣٥٤/١

(٥) سورة البقرة ١٩/٢

(٦) انظر : البرهان ٣٤٧/١

(٧) سورة الأنعام ٣/٦

وربما كان قصده هنا تنزيه الحق تعالى عن المكان، على أن (لفظ
الجلالة خبر للمبتدأ (هو) ؛ غير متعلق بالمركبين الحرفيين بعده (في
السموات وفي الأرض) فيصير تعلقهما بالفعل) (يعظم) .

ثم يتكلم عما يسميه المراقبة في الوقف (١١) (وهو أن يكون
الكلام له مقطعان على البديل ؛ كل واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به
وجب الوصل في الآخر وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر " (١٢)
وفيما استشهد به الزركشي نجد الآية الكريمة : (ذلك الكتاب لا
ريب فيه هدى للمتقين) (١٣) ورأي الوقف فيها على النحو التالي :

أ - ذلك الكتاب لا ريب / فيه هدى للمتقين .

ب - ذلك الكتاب لا ريب فيه / هدى للمتقين .

ج - ذلك الكتاب لا ريب / فيه / هدى للمتقين .

فالوقف في الحالة الأولى عند (لا ريب) يجعل الآية جملتين
اسميتين، وجملة (لا ريب) خبر للمبتدأ (ذلك) في الجملة الأولى ، والمركب
الحرفي (فيه) خبر مقدم للمبتدأ (هدى) في الجملة الثانية .

والوقف في الحالة الثانية عند (فيه) يجعل هذا المركب الحرفي
خبر (لا) النافية للجنس ، أو متعلقا بالخبر المحذوف وجوبا (موجود).
وتكون كلمة (هدى) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هو) : يعود على
الكتاب . (١٤) على حين منع الزركشي الوقف على الموضعين معا (لا ريب -

(٨) البرهان ٣٦٥/١ وانظر التمر في القراءات العشر ٢٣٧/١ - ٢٣٨

(٩) سورة البقرة ٢/٢

(١٠) انظر : البرهان في علوم القرآن ٥١/١

فيه) : حيث يكون المركب الحرفي (فيه) واقعا بين وقف (لا ريب) وابتداء (هدي) .

وحيث يفرغ معناه لاتصاله عما قبله وما بعده .

وقد أخذ مصطلح (المراقبة) لهذا الوقف من العروض .^(١)

ثم يفتن الزركشي إلى سبب تلك الاتصال والمسميات ، وهو أن العلماء " صنفوا فيه تصانيف : فمنها ما أثروه عن النحاة ، ومنها ما أثروه عن القراء ، ومنها ما استنبطوه ، ومنها ما افكتوا فيه بالسنة فقط ؛ كالوقف على أواخر الآي ، وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) . ومع ذلك كله يقول : " الوقف على كلمة جاز ، ووصل القرآن كله جاز^(٣) .

(١) انظر : للنشر في القراءات العشر ٢٣٨/١ والإتقان في علوم القرآن ٨٧/١ والمراقبة هي تجلور سببين خفيين في جزء واحد فقط ، وقد سلم أحدهما وزحف الآخر ، فلا يزاحف السببان المجتمعان ولا يسلمان من الزحاف ، بل لابد من مزاحفة أحدهما وسلامة الآخر ، وهي تحل في بحرین هما المضارع والمقتضب . انظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض ١٤٣ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٥٤/١

(٣) المرجع نفسه ٩٨/١

٦- أبو الفير بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)

مر بنا أن لابن الجزري كتابا مستقلا في الوقف والابتداء ، لكنه لم يصل إلينا ، وقد استوعب فيه أقسام الوقف وطبقها على القرآن الكريم كله . ثم لخص ذلك في كتاب آخر هو (النشر في القراءات العشر) : الذي اعتمدنا عليه في هذا العرض . يقول في ذلك ابن الجزري :

” أتيت على ما وقفت عليه من ذلك واستقصيته في كتاب (الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء) ثم استوعبت أوقف القرآن سورة سورة ، وها أنا أشير إلى زبد ما في الكتاب المذكور ” .^(١) وبعد أن استعرض أقوال الأئمة السابقين عليه ، قال :

” ونقرب ما قلته في ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري ” .^(٢)

والسبب في هذين القسمين هو أن ” الكلام إما أن يتم أو لا ، فإن تم كان اختياري ” .^(٣)

ثم يفصل هذين القسمين ، فيرى أن القسم الأول و هو الاختياري منه التام والكافي والحسن . فالتام هو الذي ” يوقف عليه ويبدأ بما بعده ، وليس له تطق بما بعده لئبته ؛ لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى . وأكثر ما يكون في رؤوس الآيات وانقضاء القصص ؛ نحو الوقف على (بسم الله الرحمن الرحيم) ، والابتداء (الحمد لله رب العالمين) ” .^(٤)

(١) النشر في القراءات العشر ٢٢٤/١

(٢) المرجع نفسه ٢٢٥/١ والإتقان في علوم القرآن ٨٥/١

(٣) النشر في القراءات ٢٢٥/١ والإتقان في علوم القرآن ٨٥/١

(٤) النشر في القراءات ٢٦١/١ والإتقان ٨٥/١

وهذا تعريف يعنى استقلال الكلام الموقوف عليه عما بعده ، دون
 تعلق بينهما فى اللفظ أو المعنى . وفى استشهد ابن الجزري على ذلك ،
 بقوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العلمين) . (١) ترى
 أنهما آيتان منفصلتان ؛ لكل منهما معناها الخاص وتركيبها الخاص بها .
 فمعنى البسملة غير معنى الحمد . وذلك فى رؤوس الآيات ، أما بقضاء
 القصص فقد أوردناه مشروحا عند تعرضنا للوقف التام عند ابن جزري ، (٢)
 وهو مقارب لما رآه ابن الجزري هنا .

ويتعرض للوقف الكافى فيقول فيه :

(وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة
 المعنى فقط ، وهو الوقف المصطلح عليه بالكافى ؛ للاكتفاء به عما بعده ،
 واستغناء ما بعده عنه . وهو كالنظم فى جواز الوقف عليه والابتداء بما
 بعده ، وهو يكثر فى الفواصل وغيرها ، نحو (ومما رزقناهم ينفقون) وعلى
 (من قبلك) و (على هدى من ربهم) . (٣) وهذا أيضا شبيه بما قلناه
 المسجلوندى فى الوقف الجازم ، ولكن ابن الجزري جعل هذا الوقف مزدوجا
 بين الفواصل وغيرها ؛ أى على رؤوس الآيات كالوقوف التام ووسط الآية .
 ولعل هذا الوقف حين يكون وسط الآية هو ما أشار إليه ابن الجزري حين
 رأى أن الوقف الكافى " قد يتفاضل فى الكافية كتفاضل التام " . (٤)

(٥) سورة الفاتحة ٢،١/١

(٦) انظر ص ٨٢، ٨١ من هذا الكتاب

(٣) انظر النشر فى القراءات ٢٦٦/١ - ٢٨٨ والإتقان ٨٥/١

(٤) النشر فى القواعد ٢٢٨/١ والإتقان ٨٥/١

ومثل بلول سورة البقرة . وتلك هو ما شرحناه عند حديثنا عن الوقف الجائز عند السجاوندي وعليه فإن هذا الوقف الكافي هو نفسه الجائز عند السجاوندي والحسن ابن جزى الكلبي .^(١) مع مراعاة الاختلاف في دلالة المصطلح (الكافي) عند ابن جزى وابن الجزري.

فما قلناه ابن الجزري عند تعريف الوقف للكافي هو اكتفاء الكلام عما بعده واستغناء ما بعده عنه . أي إن المعنى في (وما أنزل من قبلك) قد اكتفى عن المعنى في (وبالأخرة هم يوقنون) . فالجملتان الأولى أفادت معنى الإيمان بالكتب السابقة على القرآن ، والثانية قد أفادت الإيمان والتيقن باليوم الآخر وما بعده من جنة أو نار . وكلا المعنيين مستقل عن الآخر - أو بعبارة ابن الجزري - المعنى الأول مكثف عما بعده ، والثاني مستغن عما قبله .

ثم ينتقل إلى الوقف الحسن فيقول عنه :

« وإن كان يتعلق من جهة اللفظ فهو مصطلح عليه بالحسن لأنه في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده بالتعلق اللفظي^(٢) » ثم يمثل له بقوله : « نحو الوقف على بسم الله وعلى الحمد لله ولكن الابتداء (الرحمن الرحيم) لا يحسن لتعلقه لفظاً^(٣) » . ولعله يرى التعلق اللفظي بمعنى الإعراب . وبذلك يكون ما قلناه عن هذا الوقف للحسن هو نفسه ما قلناه ابن جزى . للكلبي عن الوقف الكافي^(٤) . فهو يمثل

(١) انظر ص ٦٨ ، ٨٢ من هذا الكتاب .

(٢) النشر ٢٢٦/١ والإيقان ٨٥/١ .

(٣) النشر ٢٢٨/١ ، ٢٢٩ .

(٤) انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب .

بالبسملة والآية التالية لها^(١) . فالمركب الحرفي (بسم الله) له معنى محدد هو البدء باسم الله، أما الوصفي بعد ذلك (الرحمن الرحيم) فهو متعلق بلفظ الجلالة (الله) ؛ إذ هو صفة مجرورة له ، ولا تفصل الصفة عن موصوفها حيث يكونان معا جزءا من أجزاء الجملة هو المركب الوصفي؛ ولذلك تتعلق الصفة بموصوفها في الإعراب والجنس والعدد والتعريف أو التذكير، ولا يبدأ بها لحاجتها إلى موصوفها قبلها؛ وهذا هو التعلق اللفظي .

يلاحظ هنا التقارب الكبير بين الوقف التام والكافي ، واختلاف الوقف الحسن عنهما ، ومع ذلك يرى ابن الجزري أنه " قد يكون الوقف حسنا على تقدير وكافيا على آخر ، وتاما على غيرهما ^(٢) .

وقد يكون مرد ذلك إلى أن هذه الأنواع (تام - كاف - حسن) تتدرج تحت اسم الوقف الاختياري .

أما الوقف الاضطراري فيقول عنه :

" وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا ، وهو المصطلح عليه بالقبيح ، لا يجوز تعدد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه ؛ لعدم الفائدة أو فساد المعنى نحو (صراط الذين^(٣))^(٤) .

وهذا التعريف للوقف القبيح هو ما اختلفناه عند ابن جزى الكلبي ؛ حين عرف الوقف التام والحسن والكافي وترك تعريف القبيح^(٥) . وهو - كما نرى خلاف الوقف الاختياري بأقسامه الثلاثة ، وقد علل تسميته بالقبيح

(١) من سورة الفاتحة ١/١ ، ٢

(٢) النشر في القراءات ٢٢٩/١ والإتقان ٨٥/١

(٣) سورة الفاتحة ١/١

(٤) النشر في القراءات ٢٢٦/١ والإتقان ٨٥/١

(٥) انظر ص ٨٦ من هذا البحث

لعدم وجود فائدة منه أو لفساد المعنى المراد . ثم مثل له بالوقوف على قوله تعالى (صراط الذين) : حيث لا يفهم معنى مراد عند الوقوف على الضمير الموصول (الذين) الذي لا يتضح معناه إلا بوجود جملة الصلة، وهو ما فطن إليه ابن جزي الكلبي حين قال بعدم جواز الفصل بين كل ذي موصول وصلته ^(١) . وما قلناه حينئذ يقينا عن الإعادة هنا .

ثم بفصل إفساد المعنى وتغييره بقوله :

" وقد يكون (الوقف القبيح) بعضه أقبح من بعض ؛ كالوقف على ما يحيل المعنى نحو (وإن كانت واحدة قلها النصف ولأبويه) ^(٢) . فإن المعنى يفسد بهذا الوقف إذ إنه يثبت أن البنات مشتركة في النصف مع أبويه ، وإنما المعنى أن النصف للبنات دون الأبوين اللذين لا يشتركان معها فيه ، بل لكل منهما السدس ^(٣) .

أي إن الوقف عند (ولأبويه) يجعل المعنى مختلفا عما هو مراد حقيقة فلتركيب الحقيقي هو جملة (قلها للنصف) ، التي تتحول إلى تركيب جديد هو جملة (قلها النصف ولأبويه) ، ففي الجملة الأولى يعطف مورفيم الواو جملة على أخرى ، وفي الحالة الثانية يعطف للمورفيم نفسه مركبا حرفيا على آخر مثله ؛ وهما (قلها - لأبويه) وهي حالة الوقف القبيح.

في الحالة الأولى نجد التركيب (لأبويه) ليس معطوفا على مركب (قلها) ، بل هو داخل في إطار جملة جديدة هي (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) ، وهنا نجد أن هذا المركب (لأبويه) واقع

^(١) انظر ص ٧٨ من هذا الكتاب

^(٢) سورة النساء ١١/٤ ولطول الآية نورد هنا جملتي للشرط المفهوم منهما المراد ، وهما " وإن كانت واحدة قلها للنصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد " .

^(٣) النشر في القراءات العشر ٢٢٩/١ وانظر الإتيان في علوم القرآن ٨٦، ٨٥/١

جملة جواب الـ "رط للأداة (إن) ، وبذلك تكون كلمة (المنس) مبتدأ الخبر (لأبوية) ، الذى بدل منه بدل لشماع مركب (لكل واحد منهما) ، ومن ثم لا يتعلق المبتدأ (النصف) بالمركب (لأبوية) ، أما الوقوف عند (ولأبوية) فيجعله مشتركاً فى المبتدأ (النصف) مع المركب (فلها) ، وهو ما لا يرد من الآية الكريمة ولذلك سمى ابن الجزرى إفساد المعنى .

وبنظرة فلسفية تشبه ما فعله نحاة العربية القدامى ؛ يسعرض صاحب النشر الآية الكريمة "وقلت لليهود عزيز ابن الله" ، وقلت النصرى المسيح ابن الله (١) .

فيقول الوقف على (عزيز ابن) و (المسيح ابن) قبيح والابتداء بـ (ابن) أقبح والابتداء بـ (عزيز) و (المسيح) أقبح منهما (٢) .

حيث يتخيل مواضع للوقف عندها ، وأخرى يبتدأ بها ، على النحو التالى :

أ - الوقف : فى موضعين هما :

- وقلت لليهود عزيز ابن .

- وقلت النصرى المسيح ابن .

وسمى الوقف فى هذين الموضعين قبيحاً ، ذلك لأن المفهوم هنا هو إسناد البتوة لعزيز والمسيح عليهما السلام ، لكون تحليل المراد من هذه البتوة لمن تكون ! .

ب - الابتداء : فى موضعين هما :

(١) سورة التوبة ٣٠/٩ والآية كاملة هي (وقلت لليهود عزيز ابن الله وقلت النصرى للمسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قل قل لهم الله أنى يؤفكون .

(٢) النشر فى القراءات ٢٣٠/١ والإتقان ٨٦/١ .

- ابن الله وقالت النصارى المسيح .

- ابن الله ذلك قولهم بأفواههم .

وقد جعل هذين الابتداعين أقبح من الوقف في الموضوعين السابقين ؛
إذ إنه هنا أضيفت البنوة إلى الله تعالى ، دون تحديد المراد منها ؛ أى من
يكون الابن ؟ ! وذلك ما ينافى العقيدة تماما .

ج - الابتداء : فى موضوعين آخرين هما :

- عزيز ابن ...

- المسيح ابن ...

حيث حكم بأنه أقبح من المواضع السابقة فى الوقف والابتداء ،
حيث أمنت البنوة صراحة إلى عزيز والمسيح (عليهما السلام) ثم أضيفت
إلى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ولعلنا هنا يمكننا أن نحكم على هذه النظرة فى هذه الآية الكريمة
بالفلسفة والألاعيب المنطقية التى لا يمكن أن تتحقق فى الواقع اللغوى ، بل
إنه يصطنع هذه الألاعيب ويتخيل وفقا أو ابتداء لا يمكن أن يتحول من
دائرة الكفاءة إلى الأداء ، فهذه الوقوف يمكن أن تختزن فى الذهن فقط ،
أما أن تتحول واقعا لغويا منطقيا ؛ فهو ما لا نظن أن يحدث أبدا ، ولعله
بذلك يشبه نحاة العربية القدامى حين تخيلوا أوزانا منطقية فى الصرف
العربى مع علمهم أنها لا توجد فى الواقع اللغوى المنطوق (١) .

يتعرض ابن الجزرى بعد ذلك لما لم يتناوله أحد ممن تكلموا عن
الوقف والابتداء غيره ، فيرى أن الابتداء لا يكون إلا اختياريا ، لأنه ليس
كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز إلا بمقتضى المعنى موف بالمقصود ،

(١) انظر المنصف شرح التصريف ١٧/١-٢٨ وطبقات النحويين واللغويين ٢٨٠، ٢١٩

وهو في أقسامه كالقسم الوقف الأربعة ، ويتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا ؛ بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى وإحالاته " (١) .

لعل ابن الجزري هو الوحيد - فيما نعلم - الذي تكلم عن الابتداء حين رآه اختياريا فقط ؛ إذا ليست هناك حاجة تدعو المتكلم أو تضطره إلى البدء بجملة ما أو كلمة فيها ، ومع ذلك فقد قسمه إلى تام وحسن وكاف وقبيح ، وبين أن العلة في هذا التقسيم هي تمام المعنى أو تحويله إلى معنى آخر .

وقد مثل لهذه الأقسام المتفاوتة في قوله :

" الوقف على (ومن الناس) فإن الابتداء بـ (الناس) قبيح و (يؤمن) تام ؛ فلو وقف على (من يقول) كان الابتداء بـ (يقول) أحسن من ابتدائه بـ (ومن) ... " (٢) .

إنه هنا يشير إلى قوله تعالى :

" ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " (٣) .

ويرى أن الابتداء بأنواعه هذه ، يمكن أن يتحقق على النحو التالي :

- الناس من يقول آمنا ...

سمى ذلك ابتداء قبيحا ؛ ذلك لأنه فصل بين ركني المركب الحرفي (من الناس) وهو ما لا يمكن في اللغة (٤) .

(١) النشر في القراءات ٢٣٠/١ والإتقان ٨٦/١

(٢) النشر في القراءات ٢٣٠/١ والإتقان ٨٦/١

(٣) سورة البقرة ٨/٢

(٤) لعل ذلك هو ما قاله ابن جزى الكلبي من عدم الفصل بين العامل ومعموله انظر ص ٧٨ من هذا الكتاب .

- يقول آمنا بالله وباليوم الآخر (١) .

يراه ابتداء أحسن من ابتدائه بـ (من) في :

- من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر .

وقال عنه إنه أقل حسنا من الابتداء بـ (يقول) في الآية نفسها ،
ولعل ذلك لأن (من) هنا - في الابتداء بها - تحتمل الموصولية والشرطية
والاستفهام ، وهو ما يسمى اللبس Imbiguaty ولا يفرق بين هذه
الاحتمالات إلا السياق والإلقاء .

فالسباق هو الذي يفرق بين (من) الشرطية والنوعين الآخرين ، إذ
إنه لا بد لها من جملة جواب إذا اعتبرنا أن جملة (يقول) هي جملة الشرط ،
مع ملاحظة وجوب جزم الفعل (يقول) ليصير (يقول) ؛ وهو ما لا وجود له
في الآية . والتنغيم Intonation هو الذي يفرق بين (من) الاستفهامية و
الموصولية ، ولهذا جعل ابن الجزري ذلك الابتداء أقل حسنا من الابتداء
بالفعل (يقول) حيث لا لبس فيه .

ومع ذلك يظل ما قلناه عن الوقف منطبقا على الابتداء ، حيث تخيل
ابن الجزري مواضع يمكن الابتداء بها ، مع أنها غير موجودة في الواقع
اللغوي المنطوق (١) .

(١) أورد ابن الجزري ابتداء آخر جعله تلمذا ، ويبدأ بـ (يؤمن) ، وليس في الآية التي
نحن بصنددها هذه الكلمة (يؤمن) ، كما لا توجد في الآيات السابقة لها أو اللاحقة بها ،
ولعله أراد كلمة (آمنا) في الآية نفسها ، يدل على ذلك أنه سماه ابتداء تلمذا ، حيث هي
جملة فعلية كل أركانها موجودة ، وهي: آمنا بالله وباليوم الآخر . ويصح أن تنقل هذه
الجملة من مقول القول لهؤلاء المنافقين إلى عموم الابتداء بها ، للتعبير عن حال قائلها
ولذلك جعلها ابن الجزري ذات ابتداء تلم ، وقد نقل السيوطي نص ابن الجزري ولم
يصحح كلمة (يؤمن) .

ثم أورد بعض الملاحظات على الوقف منها :

أ - " قد يغتفر في طوال الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك ، وفي حالة جمع للقراءات والترتيل ، ما لا يغتفر في غير ذلك :
فربما أجاز الوقف والابتداء لبعض ما نكر ، ولو كان لغير ذلك لم يبح (١) .
إنه يرى هنا أن الوقف يمكن أن يتحقق وسط الآية إن طالت ،
كآيات سورة البقرة (٢) وآل عمران والنساء والمائدة ، كما يراه ممكن أثناء
سرد أحداث قصة معينة كقصة يوسف أو موسى أو إبراهيم عليهم السلام ،
كما يرى إمكانية أيضا بين الجمل الم-رضة كجمله (لو تعلمون) في الآية
(وإنه لقسم - لو تعلمون - عظيم) (٣) ، حيث اعترضت هذه الجملة بين
الموصوف وصفته ، ويبينه أيضا عند قراءة كلمة ما بقراءتين مختلفتين ،
وأظن أن الوقف هنا يكون لإظهار الفرق بين المعنى في كل قراءة على حدة
كمن يقف على كلمات (السماء - الأرض) يظهر تحقيق الهمزة مرة
وتسهيلها مرة أخرى ، وكمن يقف على جملة (ربنا باعد) (٤) ليقرأها
مرة برفع ربنا على الابتداء ، وبناء الفعل (باعد) على الفتح بوصفه

(١) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب

(٢) النشر في القراءات ٢٣٦/١ والإتقان ٨٦/١

(٣) في سور البقرة أطول آية في القرآن كله ، هي آية الدين ، ورقمها ٢٨٢ وتحتوي على
أربعين جملة ذات مؤلفات مختلفة .

(٤) سورة الواقعة ٧٦/٥٦

(٥) سورة سبأ ١٩/٣٤ والآية كاملة هي : " فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم
فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور " .

ماضيا^(١) ، ومرة بنصب (ربنا) على النداء المحذوف أداته وبناء الفعل (باعد) على السكون بوصفه فعل أمر^(٢) . ويبيح الوقف أيضا عند الترئيل والتحقيق^(٣) . وأظن أنه يقصد بذلك القراءة بهتين الكيفيتين للتعليم .
ثم يربط كلامه هذا بما قلناه ابن طيفور ؛ حيث يرى أن الوقف في هذه الحالات السابقة هو ما نكره المسجلوندى فيما سماه (للمرخص ضرورة)^(٤) .

ب - لابد من مراعاة الاربواج فى المعنى؛ فيصل القارئ ما يقف على نظيرة التام. يقول فى ذلك: "ربما يراعى فى الوقف الاربواج فيوصل ما يوقف على نظيره مما يوجد للتعلم عليه واقطع تحقه بما بعده لفظا ،

(١) وهى قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، انظر النشر فى القراءات ٢٧/١ والبذور الزاهرة فى القراءات العشر ٢٥٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٦/٢
(٢) وهى قراءة عاصم ونافع والكسائى ، انظر النشر فى القراءات ٢٧/١ والبذور الزاهرة فى القراءات العشر ٢٥٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٦/٢
(٣) للقرآن الكريم كفيات مختلفة فى قراءته ، منها الترئيل والحد والتدوير والتحقيق والتجويد ، فالترئيل هو قراءته وفصل حروف كلماته بعضها عن بعض ، والتحقيق هو المبالغة فى إظهار الحروف وتوفية نطقها وإتمام للقصر والمد والغنة ، والترسل دون مجاوزة الحد .

انظر النشر فى القراءات ٢٠٥-٢١٣

(٤) انظر المرجع نفسه ٢٣٦/١ والإتقان فى علوم القرآن ٨٦/١ وص ٧١ من هذا الكتاب.
(٥) سورة البقرة ١٤١، ١٣٤/٢ ، والآية كاملة هى : " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون "

ونلك من أجل ازدواجه نحو : (لها ما كسبت) مع (ولكم ما كسبتم)^(١) .
ونحزره (لها ما كسبت) مع (وعليها ما اكتسبت)^(٢) (٣) .

ثم ينسب الفضل إلى أهله؛ فيعزو اختيار هذا الوقف في الأزواج
إلى نصير بن محمد ومن تبعه من أئمة الوقف^(٤) .

ولعله هنا يقصد بالأزواج تقارب دلالة الجمل (لها ما كسبت - لكم
ما كسبتم - لها ما كسبت - عليها ما اكتسبت) فقد تكرر للفعل (كسب) في
الآية الأولى وتكرر في الآية الثانية مع زيادة تاء الافتعال ؛ التي أعطت
معنى للمشقة والتعب ، كما أن الكلمة التي يعود عليها الضمير للمؤنث الذي
بنت عليه تاء التأنيث في الفعل هي (الأمة) في الآية الأولى (والنفس) في
الآية الثانية .

هذا من ناحية الدلالة أما الإعراب فهو متفق حيث إن كل جملتين
في كلتا الآيتين السابقتين اسمية مقدم خبرها وجوبا على المبتدأ ، الذي هو
الضمير الموصول (ما) ، والخبر هو المركب الحرفي؛ مسورهم الجر مع
الضمير المجرور محلا .

ويختتم ابن الجزري كلامه عن الوقف بأن هذه الحالات التي صرح
فيها بالوقف تصح فيما أريد له * إلا من يقصد بذلك تحريف المعنى عن

(١) سورة البقرة ٢-٢٨٦ ولطول الآية نورد الجزء الذي يوضح ما نريد وهو : " لا يكلف

الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . "

(٢) النشر في القراءات ١/١٣٧ والإتقان في علوم القرآن ١/٨٦-٨٧

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ١/٢٣٧

(٤) انظر للنشر في القراءات العشر ١/٢٣٧ والإتقان في علوم القرآن ١/٨٧

مواضعه وخلاف المعنى الذى أراد الله تعالى فبقه - والعياذ بالله - يحرم
عليه ذلك ويجب ردعه (١).

(١) النشر فى القراءات العشر ٢٣٠، ٢٣١ والإتقان فى علوم القرآن ٨٦/١

٧- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) :

لم يرد للسيوطي رأي خالص به في تعريف الوقف أو تقسيمه إلى أنواع معينة؛ بل كان جل ما فعله هو عرضة آراء متناثرة لأولئك الذين بحثوا هذا الموضوع ؛ حيث أورد آراء أبي جعفر النحاس وابن الأثيري والزعلاحي وأبي عمرو الداني وأبي الحسن العسكري وابن طيفور السجلوندي وأبي الخير بن الجزري، وقد أفاض فيما قلله ابن الجزري بصفة خاصة .^(١) وذلك لا ينقص من قيمة السيوطي العلمية بل يزيده إجلالا؛ حيث التزم الأمانة العلمية، فرد كل رأي إلى صاحبه .و تلك ميزة يمثل بها السيوطي في كل كتبه، لا في هذا الموضوع فقط .

وبذلك حفظ لنا كثيراً من الآثار العلمية متمثلة في آراء أصحابها من الضياع، فكتاب السجلوندي مثلاً لم يصل إلينا، أما آراؤه فقد نقلها السيوطي عنه . ولكن لم يفاضل السيوطي بين هذه الآراء ليرجح بعضها على بعض بل كان يذكرها فقط دون نقد أو تمحيص .

كما يلاحظ أنه لم يذكر شيئاً عن الزركشي - وهو سابق له بقليل - مع التشابه بين كتاب البرهان والإتقان، بل تغافل تماماً . يظهر ذلك في نقله فقرات وآراء منه ، دون الإشارة إليه ومن ذلك ما نقله عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ورأيه في الوقف في القرآن الكريم .^(٢)

^(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن ١/٩٣ - ٩٤ .

^(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن ١/٣٥٤ والإتقان ١/٨٧ .

٨- الأشموني : (١)

سبق أن عرفنا أن لأحمد بن عبد الكريم الأشموني كتاباً في الوقف هو (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) . وقد استقصى فيه القرآن الكريم تله : متتبعا مواضع الوقف فيه وتسميتها : ونأخذ من ذلك تقسيمه الوقف إلى خمسة أقسام هي :

- ١- تام أو أتم .
- ٢- كاف أو أكفى .
- ٣- حسن أو أحسن .
- ٤- صالح أو أصلح .
- ٥- قبيح أو أقبح . (٢)

وهذه الأقسام رأيناها كما هي عند أبي جعفر النحاس . (٣)
غير أن الأشموني فاضل بين هذه الأقسام دون أن يعرفها . حيث قال : (فالكافي والحسن يتقاربان والتام فوقهما ، والصالح دونهما في الرتبة) . (٤) ثم أجمل ذلك كله فقال : (فأعلاها الأتم ثم الأكفى ثم الأحسن ثم الأصلح ويعبر عنه بالجائز) . (٥) والملاحظ هنا أن الأشموني قد استخدم صيغة التفضيل (أفعل) بجانب صيغة الوصف الأصلية التي تراوحت بين صفة الفاعل (صالح - تام - كاف) ، والصفة المشبهة (حسن - قبيح)

(١) وهو غير أبي الحسن علي محمد الأشموني (ت ٩٢٩ هـ) النحوي ، صاحب الشرح المعروف على ألفية ابن مالك .

(٢) منار الهدى ١٠

(٣) انظر ص ٥٣ من هذا الكتاب

(٤) منار الهدى ١٠

(٥) المرجع نفسه ١٠

ولعل السبب في ذلك هو أن كل قسم من هذه الأقسام يفضل ما بعده كما قال هو : (فأعلاها الأتم ثم الأكفى ثم الأحسن ثم الأصلح) . (١)

أي إن التام أتم من الكافي الذي هو أكفى من الحسن والحسن أحسن من الصالح الذي هو أصلح من القبيح والقبيح قد بلغ الدرجة في عدم حسنه وصلاحيته ولذلك فهو قبيح .

وبغينا عن تفصيل هذه الأقسام وشرحها ما سبق قوله عند أبي جعفر النحاس وابن الأباري حيث اعتمد عليهما . (٢)

لكن الذي امتز به الأشموني هو عرضه لما سماه وقف البيان الذي عرفه بقوله : " وقف البيان هو أن يبين معنى لا يظهر بدونه كالوقف على قوله تعالى : (وتوقروه) : فرق بين الضميرين فالضمير في (توقروه) للنبي صلى الله عليه وسلم وفي (تسبحوه) لله تعالى . والوقف أظهر هذا المعنى المراد . " (٣) وقد سبقه إلى بيان هذا الوقف في الموضع بعينه أبو الخير بن الجزري ، لكن الأشموني أطلق عليه اسم (وقف البيان) في حين سماه ابن الجزري (وقفا حسنا) . (٤)

المهم أن الآية المستشهد بها هي قوله عز وجل :
(لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا .) (٥)

(١) المرجع السابق ١٠

(٢) انظر للمرجع نفسه ٩

(٣) المرجع نفسه ١٠

(٤) انظر النشر في القراءات ٢٣٣/١

(٥) سورة الفتح ٩/٤٨

حيث إن ضمير المفعولية (الهاء) في الفعلين (تغزوه - توقروه) يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الضمير نفسه (الهاء) فهي (تسبحوه) فيعود على الحق سبحانه وتعالى . فإن وصل القارئ كل هذه الجمل فهم أن المعنى واحد؛ أي إعادة مورقيم للمفعولية في الجمل الثلاث على معنى واحد؛ وبخاصة أن هذه الجمل مشتركة من الناحية التركيبية . فالفعل فيها مضارع بمورقيم المضارعة (التاء) ، والفاعل مورقيم (السواو) لجمع المذكر السالم ، والمفعول به مورقيم (الهاء) للمذكر المفرد الغائب كما أن الفعل بهذه الصيغة من الأفعال الخمسة المنصوبة بحذف النون .
ولذلك أجاز الأشموني الوقف بعد جملة (توقروه) ولبدء بجملة (تسبحوه) للتفريق بين المفعولين من الناحية الدلالية .

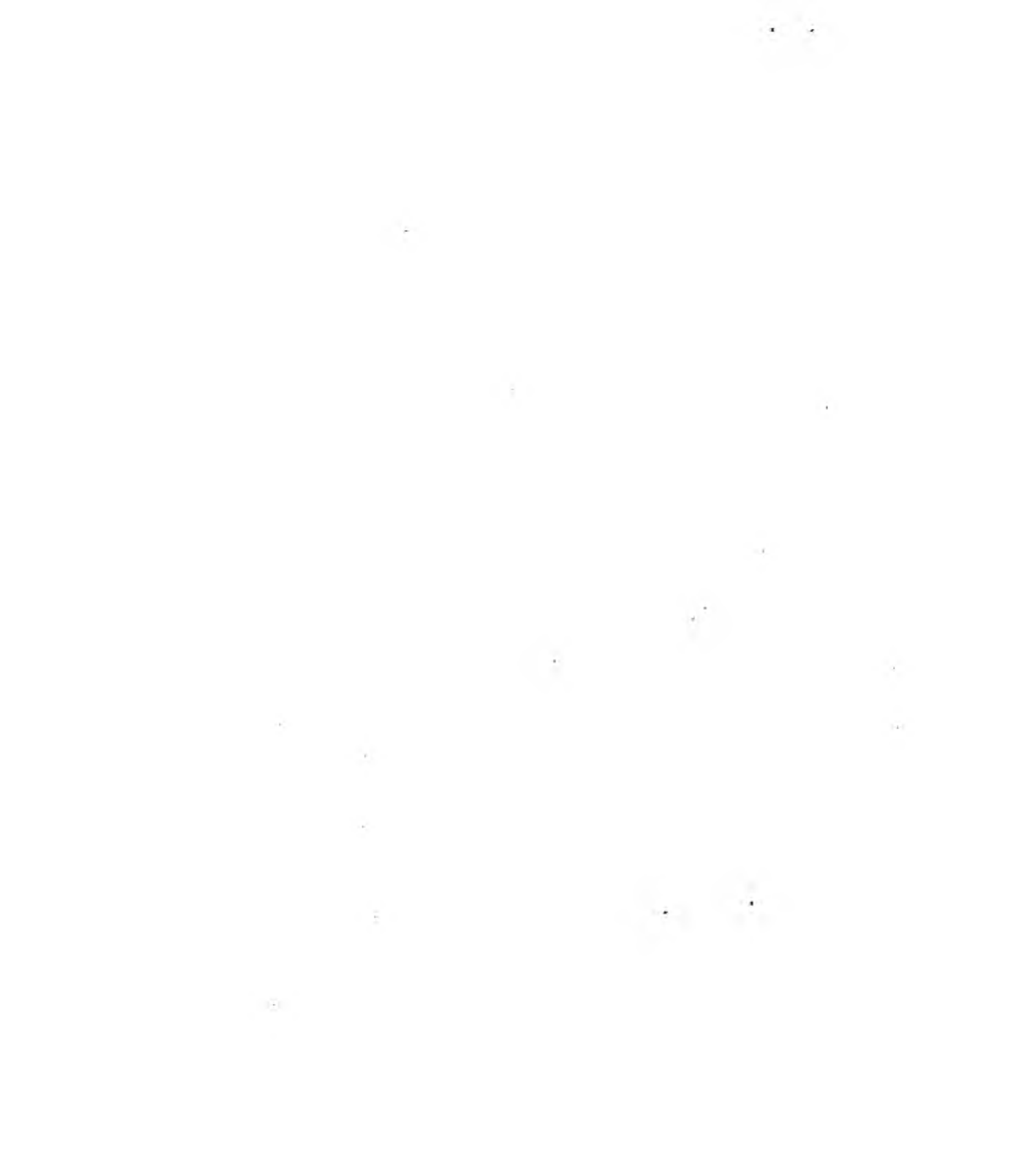
ثم يدل الأشموني بجملة نعلها هي فصل للخطاب في الموضوع كله، هي قوله : " وجميع ما نكروه من مراقبه غير منضبط ولا منحصر لاختلاف المفسرين والمعربين " . (١)

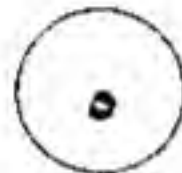
كما ذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة " إلى أن تفسير الموقوف عليه من القرآن بالتلم والناقص والحسن والقبيح وتسميته بذلك بدعة، ومعمد الوقف على نحوه مبتدع؛ لأن القرآن معجز وهو كالكلمة الواحدة، فكله قرآن وبعضه قرآن وكله تلم حسن وبعضه تلم حسن " (٢) ولعل تلك الجملة عند الاتسوي وما قاله أبو يوسف يؤكدان أن اصطلاحات الوقف والابتداء لم تؤخذ سماعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو

(١) منار الهدى ٩ والإيمان في علوم القرآن ٨٧/١

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٥٤/١

الصحابية رضي الله عنهم ، بل هي اجتهادية من هؤلاء العلماء ، ولذلك
اختلفوا في الاصطلاح والتقسيم ؛ وكان سبب ذلك هو مراعاة المعنى .





الفصل الخامس
علاقة الوقف بغيره
من العلوم

إذا كان القرآن الكريم كلاماً عربياً فصيحاً قد بلغ أعلى مستوى لغوي عربي ؛ بحيث يقاس عليه كل ما عداه من كلام العرب ، فهو مكون من فونيمات تنتظم معاً لتكون مورفيمات وكلمات ، وهذه بدورها تكون معاً مركبات وجملًا ؛ ولذلك فإن الوقف عند كلمة معينة لابد أن يكون له هدف لغوي ؛ يؤدي معنى معيناً ، وهذا المعنى لابد أن يتحرى ما ورد في علوم القرآن كالنفسير والقراءات والنحو والفقه .

فلا يمكن الوقف جزافاً ، بل يعتمد على القراءات القرآنية ، وقواعد اللغة في نحوها ، وما أثر عن الأولين في تفسير الآيات المباركة ، أي إنه " لا يقوم بالتمام إلا نحوى عالم بالقراءة ، عالم بالتفسير ، عالم بالقصاص وتلخيص بعضها من بعض عالم باللغة التي نزل بها القرآن " (١) .
" كما يحتاج إلى المعرفة بالنحو وتقديراته " (٢) .

وفيما يلي نتكلم عن هذه العلاقة موردين بعض الآيات التي من خلال الوقف على أجزاء منها ؛ تظهر هذه العلاقة ، حيث يختلف المعنى تبعاً للتفسير أو الفقه أو الإعراب أو القراءات .

(١) القطع والانتشاف ٢١/١ والبرهان في علوم القرآن ٣٤٣/١

(٢) القطع والانتشاف ٢٢/١

الوقف والقراءات

القراءات هي كيفية قراءة القرآن الكريم بأكثر من وجه حسبما ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي قسمان :

القراءة الصحيحة :

وهي ما توافر فيها شروط ثلاثة :

- ١- صحة سندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٢- مطابقتها لخط المصحف .
- ٣- مطابقتها لقوانين اللغة العربية في نحوها ودلالاتها وصرفها
وصوتها .

القراءة الشاذة :

وهي ما انفصلت شرطاً من الشروط السابقة ، وهي كثيرة جداً ؛
وبعضها ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضها عن الصحابة
وبعضها عن التابعين .

والقراءات الصحيحة قسمان ؛ مشهورة ومتواترة . والمتواترة
سبعة ، أصحابها هم :

- ١- عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ) .
- ٢- عبد بن كثير (ت ١٢٠ هـ) .
- ٣- عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٨ هـ) .
- ٤- أبو عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) .
- ٥- حمزة الزيات (١٥٦ هـ) .
- ٦- نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) .

٧- علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) (١).

وفي النص التالي لابن الجزري نحاول بيان علاقة الوقف
بالقراءات؛ حيث يقول :

" ولابد من معرفة أصول مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء ؛
ليعتمد في قراءة كل مذهبه . فنافع كان يراعى محاسن الوقف والابتداء
بحسب المعنى ... وابن كثير روينا عنه نصا أنه كان يقول : إذا وقفت في
القرآن على قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وعلى قوله (وما
يشعركم) وعلى (إنما يعلمه بشر) ثم أبال بعدها وقفت أم لم أقف . وهذا
يدل على أنه يقف حيث ينقطع نفسه . و ... كان يراعى الوقف على
رؤوس الآي مطلقا ؛ ولا يعتمد في أوساط الآي وفقا سوى هذه الثلاثة
المتقدمة .

وأبو عمرو فروينا (٢) عنه أنه كان يعتمد الوقف على رؤوس الآي .
ويقول هو أحب إلي ، ونكر عنه الخزاعي أنه كان يضرب حسن الابتداء .
وذكر عنه أبو الفضل الرازي أنه يراعى حسن الوقف .

وعاصم ذكر عنه أبو الفضل الرازي أنه كان يراعى حسن الابتداء
وذكر الخزاعي أن عاصما والكسائي كانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام .
وحمزة اتفقت الرواة عنه أنه كان يقف عند انقطاع النفس ؛ فقليل
لأن قراءته التحقيق والمد الطويل؛ فلا يبلغ نفس القارئ عنده كالسورة

(١) انظر : النشر في القراءات العشر ٩/١ وما بعدها .

والبرهان في علوم القرآن ٣٢٧ - ٣٢٩ .

(٢) هكذا في الأصل (فروينا) ولا يستقيم الكلام إلا في حالتين هما :

- وأما أبو عمرو فروينا ..

ب- وأبو عمرو روينا ..

الواحدة ، فلم يكن يتعد وفقا معنا ، ولذلك أثر وصل السورة بالسورة ،
فلو كان من أجل التحقيق لأثر القطع على آخر السورة ، والبالغون من القراء
كتوا يراعون حسن الحالتين وفقا وابتداء (١) .

من هذا النص يتبين لنا أن لكل من القراء مذهبه في أوقف
والابتداء ، وقد ذكر ابن الجزري ستة من أصحاب - غرائب للصحيحة هم :
" نافع بن أبي نعيم - عبد الله بن كثير - أبو عمرو بن العلاء -
عاصم بن أبي النجود - حمزة الزيات - علي الكسائي " .

فالإمام نافع كان يراعى لوقف الحسن والابتداء ، ولا ندرى بأي
مقياس كان الحسن عنده ؛ بمقياس السجائدي أو النحلي أو غيرهما ؟
كما لم يمثل ابن الجزري لهذا الوقف الحسن عنده ونعله كان يستحسن
المعنى فيقف ويبتدئ بمعنى حسن آخر ..

وعبد الله بن كثير ألزم نفسه الوقف عند ثلاثة مواضع في القرآن
العظيم كله وهي :

الموضع الأول :

قوله تعالى : " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا " (٢) .

فهو يلزم الوقف عند لفظ الجلالة (الله) ، وبذلك ينتهي معول
الفعل (يعلم) عند لفظ الجلالة الذي هو فاعله ، وتصير الجملة الثانية
اسمية مستأنفة بالواو غير متعلقة بالفعل (يعلم) أو بمصوله . أما إن
وصل فتصير الواو عاطفة لا استئنافية ، ويعطف (الراسخون) على لفظ

(١) النشر في القراءات العشر ٢٣٨/١ .

(٢) سورة آل عمران ٧/٣ .

الجلالة (الله) ^(١) وهو ما لم يردده ابن كثير ، بل أراد قصر العلم في الفعل
(يعلم) على لفظ الجلالة فقط .

الموضع الثالث :

قوله سبحانه : " وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون " ^(٢) .
حيث يلزم الوقف عند جملة (يشعركم) ، ليربطها بما قبلها ، وهو
قوله عز اسمه : " قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم " .
وبذلك يرتبط للفعل (يشعر) بوجود الآيات عند الله ، ويبدأ بعدها
بكسر همزة (إن) ، لتصير جملة جديدة غير متعلقة بالفعل (يشعر) .
وبذلك فإن هذا الجزء من الآية ينقسم قسمين هما :
أ - قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم .
ب - إنها إذا جاءت لا يؤمنون .
أما إن استلّف بـ (وما يشعركم) فسوف تفتح همزة (إن) ؛
لارتباطها بالفعل (يشعر) متطابقا بالجملة بعده ، أي بتحقيق الإيمان من عدمه
عند مجيء الآيات وهو ما لم يردده ابن كثير ^(٣) .

(١) انظر : معاني القرآن ١/١٩١ وإملاء ما من به الرحمن ١/١٢٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦/١٠٩ .

(٣) انظر معاني القرآن ١/٣٥٠ وإملاء ما من به الرحمن ١/٢٥٧ .

ولعل الوقف عند (وما يشعركم) وكسر همزة (إن) أو وصلها وفتح للهمزة يذكّرنا بما
دار بين المبرد والخزّ . نستوكل بشأن هذه الآية وملخص الحادثة أن الخليفة قرأ قوله
حانه : " وما يشعركم " إذا جاءت لا يؤمنون " بالفتح فاختلف معه الفتح بن خاقان
حيث رآها بالكسر (إنها) وبعا للمبرد (ت ٢٨٦ هـ) يستقيانه فدخل المبرد على
الفتح بن خاقان وقال له (إنها) بالكسر " ذلك أن أول الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم) " .

الموضع الثالث :

قوله تعالى : " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعطيه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " (١) .
فهو يلزم الوقف على جملة : (إنما يعطيه بشر) ويستأنف بعبارة الآية بالجملة الاسمية (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) .
وذلك لأن جملة (إنما يعطيه بشر) في محل نصب مقول القول الذي قاله الكفار ، على حين أن جملة (لسان الذي ...) رد من الله سبحانه وتعالى عليهم ، وليست من كلامهم بل لتكذيبهم في زعمهم هذا (٢) .
ولو وصلت الجملتان لتوهم أن الأولى مقول القول والثانية تفسيرية تابعة لها من كلام الكفار أيضاً وهو ما لا يراد من الآية أي أنه أراد بالوقف هنا الفصل بين ما قلناه الكفار ورد الحق تعالى عليهم .
ثم يستنتج ابن الجزري من ذلك أن ابن كثير كان يقف حيث ينقطع نفسه في غير هذه المواضع ، وهو ما سماه ابن الجزري الوقف

- ثم قال تبارك وتعالى يا محمد - صلى الله عليه وسلم : " إنها إذا جاءت لا يؤمنون " باستئناف جواب الكلام للمتقدم ، ثم دخل مع الفتح على الخليفة المتوكل فسأله الأخير عن الصواب : أهو الفتح أم الكسر ؟ فقال المبرد له : أكثر الناس يقرؤها بالفتح .
فلما عاتبه الفتح بن خاقان قال له : " قلت له أكثر الناس يقرؤها بالفتح وأكثرهم على الخطأ وإنما تخلصت من اللائمة وهو أمير المؤمنين .

انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٠١ - ١٠٣ .

(١) سورة النحل ١٦/١٠٣ .

(٢) انظر التفسير الوسيط ٦٨١/٢ وتفسير القرطبي ١٧٧/١٠ - ١٧٩ .

الاضطراري^(١) ، وسماء السجلوندي المرخص ضرورة^(٢) ، وأنه لم يكن
يتعمد الوقف في أوساط الآيات إلا في تلك الآيات الثلاثة المتقدمة .

وأبو عمرو بن العلاء يقف على رؤوس الآيات ويطلب حسن الوقف
والابتداء ، أي أنه مشابه في حسن وقفه وابتدائه لنافع بن أبي نعيم .

وعاصم بن أبي النجود يقف حيث يتم الكلام ، ويطلب حسن
الابتداء ، وكذلك علي بن حمزة الكسالي يقف حيث يتم الكلام .

وحمزة الزيات يقف عند انقطاع النفس ، وهو بذلك يشبه طريقة
ابن كثير ، وذلك لاتباع الأول طريقة "تحقيق والترتيل في قراءته فلا يبلغ
نفسه الوقف التام ولا الكافي . ويفسر ابن الجزري علة الوقف عند حمزة
بأن القرآن الكريم كله مرتبط ببعضه ببعض فهو كالسورة الواحدة ؛ ولذلك
لم يكن يتعمد حمزة وقفاً معيناً بل كان يصل السورة بما بعدها .

ثم يجمال ابن الجزري مذاهب القراء في الوقف والابتداء فيقول :
والهاتون من القراء يراعون حسن الحالتين وقفاً وابتداءً^(٣) .

أي إنهم يراعون الوقف الحسن والابتداء الحسن وهو ما راعاه
نافع وعاصم وأبو عمرو والكسالي .

ولا نعظم لماذا نكر ابن الجزري ستة فقط من أئمة القراء ، ولم
ينكر عبد الله عامر ، مع أن أقل عدد من القراءات الصحيحة المتواترة سبع
كما نكر هو^(٤) .

(١) انظر ص ٩٣ من الكتاب .

(٢) انظر ص ٧١ من هذا الكتاب .

(٣) النشر في القراءات العشر ٢٣٨/١ .

(٤) المرجع نفسه ٨/١ .

إلا أن يكون لكل من هؤلاء المذاهب معين في الوقف والابتداء؛
مع اتفاقهم في مراعاة حسن الحالتين ومع ذلك فإن هذه المراعاة تمثل
العامل المشترك بين القراء جميعا .

الوقف والتفسير

يعنى التفسير بكيفية فهم الآيات القرآنية وأسباب نزولها ،
ومعانيها وأحكامها ، ومقاصدها التي ترمى إليها ؛ وذلك بالرواية أو
الدراسة^(١) . وهذه المعاني والمقاصد تنطق بتركيب الجملة ؛ الذي يختلف
حسب الوقف والابتداء . ولنأخذ بعض الأمثلة التي تبين لاختلاف التفسير
بلاختلاف الوقف .

ففي قول الله عز وجل :

(قال فبقها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس
على القوم لفاسقين)^(٢) .

فمن وقف على جملة (فبقها محرمة عليهم) ، وبدأ بجملة
(أربعين سنة يتيهون في الأرض) فهم أن التحريم مطلق ، مع تحديد التيه
بأربعين سنة ومن وقف على جملة (فبقها محرمة عليهم أربعين سنة) ،
وبدأ بجملة (يتيهون في الأرض) حدد مدة التحريم بأربعين سنة ، وأطلق
مدة التيه في الأرض . وهنا يختلف التفسير طبقا للوقف والابتداء^(٣) .

ولا ندرى لماذا أجاز أبو زكريا للقراء (ت ٢٠٧ هـ) كلا الوقفين ؛
دون مراعاة للمعنى المقصود بتحديد زمن التيه ، أو زمن التحريم حيث قال :

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن ١٧٣/٢ والبرهان في علوم القرآن ١٣/١ .

(٢) سورة المائدة ٢٦/٥ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٢٩/٦ والبرهان في علوم القرآن ٣٤٥/١ .

” أربعون سنة” منصوبة بالتحريم ، ولو قطعت الكلام فنصبته بقوله
(يتيهون) كان صواباً^(١) .

ولعله نظر نظرة لغوية صرفة إلى تركيب الجملة دون معناها .
وفي قوله سبحانه :

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف
والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)^(٢) .

يقول أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) . إذا قرأ (وكتبنا عليهم فيها
أن النفس بالنفس والعين بالعين والجروح قصاص) فهذا التمام عنده
إذا نصب قراءة نافع وعاصم والأعشى وحمزة^(٣) .

ومن قرأ (والعين بالعين) فرفعهما ورفع ما بعدهما^(٤) . فالوقف
عنده (أن النفس بالنفس) . وهذه قراءة الكسائي واختيار أبي عبيدة^(٥) .

وبها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦) فطلى هذه القراءة
(والعين بالعين) ابتداء حكم في المسلمين ويجعل ما كتب عليهم في التوراة

(١) معاني القرآن ٣٠٥/١ وانظر : إملاء ما من به الرحمن ٢١٣/١ .

(٢) سورة المائدة ٤٥/٥ .

(٣) نافع وعاصم وحمزة من القراء السبعة ، أما الأعشى فهو أبو محمد سليمان بن
مهران الأعشى قرأ عليه حمزة وعيسى بن عمر .

انظر النشر في القراءات العشر ١٦٥/١ .

(٤) لعل تنبيه الضمير : (فرفعهما وما بعدهما) تعود على المبتدأ وخبره المركب
الحرفي .

(٥) الكسائي نحوي من القراء السبعة ، أما أبو عبيدة فهو معمر بن المثنى التيمي صاحب
مجاز القرآن (ت ٣٠٩هـ) انظر ” طبقات النحويين واللغويين ١٧٥ - ١٧٨ وأخبار
النحويين البغداديين ٨٠ - ٨٣ .

(أن النفس ... بوجب الحكم القصاص في العين وما بعدها بين المسلمين بالآية^(١) .

فمن وقف عند (أن النفس بالنفس) جعل ذلك خلاصا ببني إسرائيل مكتوبا عليهم ثم يبدأ جملة جديدة هي (والعين بالعين) . وتكون خاصة بحكم فرضه الله تعالى على المسلمين دون بني إسرائيل .

ومن وصل الآية كلها وقرأ بالنصب جعل مورفيم الواو عاطفا مع تكراره وبذلك تتكون جملة واحدة ، ويكون للمعنى آنذاك فرض كل ذلك على بني إسرائيل دون غيرهم .

يقول الفراء في توجيه ذلك * تنصب (النفس) بوقوع (أن) عليها في قوله (والعين بالعين والألف بالالف) إلى قوله (والجروح قصاص) بالخيار . إن شئت رفعت ، وإن شئت نصبت ... فإذا رفعت العين أتبع الكلام للعين ، إن نصبته فجائز^(٢) . *

وكما رأيناه في حديثه عن الآية السابقة نراه هنا أيضا ، رجلا لغويا لا يهتم إلا تركيب الجملة ، دون التوقف عند لاختلاف الدلالة الذي يترتب على رفع أو نصب .

وفي قوله سبحانه :

(١) وقد أورد للفراء : * عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (والعين بالعين) رفعا * معلى القرآن ٣١٠/١ وتفسير القرطبي ١٩٣/٦ وصحيح الترمذي (باب فضائل القرآن) وعارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي ٥٢/١١ .

(٢) القطع والانتشاف ٢٣/١ والبرهان في علوم القرآن ٣٤٩/١ .

(٣) معلى القرآن ٣٠٩/١ - ٣١٠ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢١٦/١ ، ٢١٧ .

(قالوا ياولينا من بعثنا من مرقنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (١) يقول أبو جعفر للنحاس إن أبا عبد الرحمن السلمي " كان يستحب أن يقف (قالوا ياولينا من بعثنا من مرقنا) ، ثم يبتدئ فيقول : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) . أراد أن يفرق بين كلام الكفار وجواب الملائكة (٢) . معنى ذلك أن الآية الكريمة ليست في محل نصب مقول القول للفعل (قالوا) ، وعليه فهي ليست من كلام الكفار وحدهم ، بل إنهم عندما يرون البعث والحساب يبهتون قائلين " يا ويلنا من بعثنا من مرقنا " . فتجيبهم الملائكة " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيما أنذروكم به " . فلا بد من الوقف على الجملة الاستفهامية ليظهر المعنى المراد إما أن وصلت للجملة في الآية كلها ، فإنها تكون مقول القول للكفار ، دون أن يكون هناك جواب للاستفهام .

وفي الآية نفسها يشير ابن الجوزي إلى أن الوقف فيصح على الكلمة (هذا) مع وصله بالجملة الاستفهامية قبلها ، حيث يكون التركيب هكذا : (من بعثنا من مرقنا هذا ؟)

لما تبدأ بكلمة (هذا) فإزاء ابن الجوزي جيداً ، ليربط بين المبتدأ (هذا) والخبر (ما) (٣) .
وفي قوله تعالى :

يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَيَكْتُمُونَ أَنْ تَأْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ (٤)

(١) سورة يس ٣٦ / ٥٢ .

(٢) القطع والانتكاف ١٩/١ وانظر البرهان في علوم القرآن ٣٤٥/١ .

(٣) النظر النضر في القراءات العشر ٢٣٠/١ .

(٤) سورة الممتحنة ١/٦٠ .

يرى ابن الجزرى أن الوقوف على (وإياكم) حسن لتعلم الكلام ،
والابتداء به قبيح لفساد المعنى ، إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله
تعالى^(١) . لقد فطن ابن الجزرى هنا إلى أن (إياكم) ضمير نصب معطوف
على كلمة (الرسول) ، ووقع عليهما للفعل (يخرج) وتصير الجملة (أن
تؤمنوا) تعليلية أى يخرجونكم بسبب إيمانكم^(٢) . أما إن بدأ بـ (وإياكم) فإن
الجملة تؤدي معنى التحذير من الإيمان ، ومن ثم يختلف عمل (إيا) من
الضمير المعطوف عليه ، إلى ضمير فى محل نصب مفعول به للتحذير .
لذلك نجد أن أبا نر الحنفى عرف أن " إمامه يبخلى قرأ ووقف
وابتدا من قوله تعالى (وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) فعزله ولم يلمر
بإعادة الصلاة^(٣) .

(١) النشر فى القراءات العشر ٢٣٠/١ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٥٢/١٨ .

(٣) طبقات المفسرين ١٧٠/١ .

الوقف والفقہ

یبحث علم الفقہ فی الأحکام الشرعیة التي شرعها الله تعالى لعباده للمكلفين ، وللفقہ مصادر عدة لاستخراج الأحکام ، أعلاها هو القرآن الكريم^(١) . وللمعرفة الجليز والواجب والحلال والحرام والمنسوب والمكروه ، لابد من معرفة آيات الأحکام فی القرآن الكريم ، ولا تفهم الآيات إلا على ضوء علاقات الكلمات والجمل ، التي تختلف حسب الوقوف والابتداء .
من هنا نجد أنه " يحتاج صاحب علم التعلّم إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء فی أحكام القرآن " (٢) .

ولنأخذ آية من كتب الله ، فنلّ بها على تأثير علاقة الوقف والابتداء فی اختلاف الحكم الفقهي ، وهي قوله تعالى :

" والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلسوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم " (٣) .

" اختلف الفقهاء فی حكم الآية وهو شهادة القائف ، بين قائل بجوازها إذا تاب ، وقتل بعدم قبولها فمن " قال من الفقهاء : لا تقبل شهادة القائف وإن تاب كان الوقف عنده : ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا " (٤) فهو يجعل الوقف عند الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) الناهية ، ثم يبدأ الجملة الاسمية الجديدة ؛ وهي وأولئك ..) .

(١) انظر التعريفات ١١٢ .

(٢) للقطع والانتكاف ٢١/١ .

(٣) سورة النور ٥٠٤/٢٤ .

(٤) للقطع والانتكاف ٢١/١ وانظر : البرهان فی علوم القرآن ٣٤٣/١ .

وبذلك يكون للمستثنى فى الآية التالية لها منطوقاً بالجملة الاسمية
(وأولئك) .

وعندئذ يطلق لفظ الفاسقين عليهم إلا من تاب منهم وأصلح .
أما " من قال : تجوز شهادته إذا تاب كان الكلام عنده متصلاً ،
والوقف عنده (فإن الله غفور رحيم) " (١) . وبذلك يكون الاستثناء من
جملة (ولاتقبلوا ...) وليس من جملة (وأولئك ..) . ووجه الكلام هنا
يكون (ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً إلا للذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) .

ومع أن الوقف منة على رؤوس الآيت ، إلا أن من قال يقبول
شهادة القلاف هنا لا يعد بذلك ، ويصل الآيتين معا ، ليبينى على وصل
كلامه هذا حكمه الفقهي .

يدل على ذلك ما أورده أبو جعفر النخاس : " عن ابن عباس
(ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً) ثم قال : (إلا للذين تابوا) . قال : فمن تاب
وأصلح فشهادته فى كتاب الله عز وجل تقبل " (٢) .

(١) القطع والافتتاح ٢١/١ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٢١/١ ولورد النخاس فى الموضوع نفسه أن من قال بذلك أيضا
مالك والشافعى .

الوقف والنحو

لا ندري ما هو سر الخلاف الشديد بين القراء واللغويين ؛ هذا الخلاف الذي جعل القراء يستريحون لأنفسهم الوقف كيفما شاءوا، وتقسيم الوقف .. أقساما معينة؛ لكل قسم اسم معين، مع اختلاف هذه الأقسام والمسميات من واحد لآخر .

كل ذلك عن طريق تجزئة الآية الواحدة إلى جمل معينة ، مع تحديد الوقف حسب تعلق الكلمات في الجملة الواحدة ..^(١) لهم ذلك إلا بفهم النحو الذي يبحث في علاقة الكلمات داخل الجملة الواحدة من الناحيتين الوظيفية والإعرابية .

على حين نجد اللغويين مهتمين بذلك أيضا، لكنهم لا يراعون المعنى بل يطوعون الآية لما تحتمله اللغة من وجوه إعرابية ووظيفية. ولأن أن ذلك هو منشأ الخلاف بين الفريقين .

وقد رأينا فيما سبق أن أبا زكريا القراء يجيز النصب والرفع في الآية (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ..)^(٢) ، دون التفات إلى المعنى الذي يترتب على الرفع أو النصب ، كما أنه يجيز تطوق المركب (أربعين سنة) في الآية (قل فبقها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ..)^(٣) ؛ يجيز تطوقه بجملة (فبقها محرمة) وبجملة (يتيهون) دون مراعاة أيضا للمعنى الذي يترتب عليهما .

لذلك فقد وقف القراء للغويين بالمرصاد كما يتبين من النص التالي:

(١) سورة المائدة ٤٥/٥ وانظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) سورة المائدة ٢٦/٥ وانظر ص ١٢٥ من هذا الكتاب .

ليس كل ما يتصفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتناولونه بعض أهل الأهواء مما يقتضى وفقاً أو ابتداءً ، ينبغي أن يعتمد الوقف عليه ، بل ينبغي تحرى المعنى الأتم والوقف الأوجه . وذلك على (ولرحمنا أنت) والابتداء (مولانا فقصرنا) على معنى الفداء ، ونحو (ثم جاءوك يحلفون) ثم الابتداء (بالله إن المشرق) على معنى القسم ، ونحو (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح) ونحو (فلتنتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً) ويبدأ^(١) (عليه أن يطوف بهما وعلينا نصر المؤمنين) بمعنى ولجب أو لازم ، ونحو الوقف على (وهو الله) والابتداء (فى السموات وفى الأرض) . وأشد قبحا من ذلك الوقف على (فى السموات) والابتداء (فى الأرض يطم سركم) . ونحو الوقف على (ما كلن لهم الخيرة) مع وصله بقوله (ويختار) ، على أن (ما) موصولة . ومن ذلك قول بعضهم فى (عينا فيها تسمى مسبيلا) أن الوقف على (تسمى) أى عينا مسماة معروفة بالابتداء (سبيل سبيلا) هذه جملة أمرية أى لسل طريقاً موصلة إليها .

وهذا مع ما فيه من التحريف يبطله إجماع المصالحف على أنه كلمة واحدة . ومن ذلك الوقف على (لا ريب) والابتداء (فيه هدى للمتقين) وهذا يردده قوله تعالى فى سورة المسجدة (لا ريب فيه من رب العالمين) . ومن ذلك تصف بعضهم إذ وقف على (وما تشاءون إلا أن يشاء ربك) (الله رب العالمين) ، ويبقى (يشاء) بغير فاعل . فإن ذلك وما أشبهه تحمل وتحريف للكلم عن مواضعه يعرف أكثره بالمسباق والسياق^(٢) .

(١) هكذا فى الأصل ولعل الكلمة (يبدأ) أو (يبتدئ) .

(٢) النشر فى القراءات ٢٣١/١ ، ٢٣٢ وانظر الإتيان فى علوم القرآن ٨٦/٢ .

ومع طول هذا النص إلا أننا يمكن أن نستخلص منه الآيات التي
استشهد بها ابن الجزري على التكلف والتأويل ومنها :

- قوله تعالى " وارحمنا أنت مولانا فتصرنا على القوم الكافرين " (١)
فهو يعترف بالوقف على (وارحمنا) ثم يبتدئ (أنت مولانا) ، وينكر
الوقف على (وارحمنا أنت) ثم يبتدئ (مولانا فتصرنا) ؛ والمعنى هنا في
(أنت مولانا) إخبار عن طريق جملة اسمية ، على حين أن المعنى في
(مولانا فتصرنا) إنشاء عن طريق النداء : " أة الفعية المحنوف أداة
لنداء فيها مع تحول الضمير (أنت) من مبتدأ للخبر (مولانا) إلى توكيد
لفظي للمفعول به في الفعل (ارحمنا) .

- قوله تعالى : " ثم جاعوك يحلفون بالله إن أربنا إلا إحسانا
وتوفيقا " (٢) .

- قوله عز وجل " يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " (٣) .
حيث يرى أن الوقف بعد المركب الحرفي (بالله) عوبتك يتعلق هذا
المركب بالفعل (يحلف) في الآية الأولى ، وبالفعل (تشرك) في الآية
الثانية .

على حين يمنع قبلهما ليتحول الوقف للمركب الحرفي إلى معنى
للقسم عند اتصاله بما بعده هكذا :

ثم جاعوك يحلفون ... بالله إن أربنا إلا إحسانا وتوفيقا .
يا بني لا تشرك ... بالله إن الشرك لظلم عظيم .

(١) سورة البقرة ٢٨٦/٢ .

(٢) سورة النساء ٦٢/٤ .

(٣) سورة لقمان ١٣/٣١ .

- قوله سبحانه : " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة " (١).

فهو يرى الوقف بعد الفعل (يختار) عطفاً له على الفعل (يخلق)
لتبدأ جملة (كان) المنقبة، على حين يمنع الوقف على الفعل (يشاء)
ليتصل الفعل (يختار) بجملة (كان) وعندها تتحول (ما) من النفي
والحرفية إلى الموصولية هكذا :

- وربك يخلق ما يشاء .

- ويختار ما كان لهم الخيرة .

أى يختار الذى هو خير لهم .

- قوله تعالى : " فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر
المؤمنين " (٢).

حيث يرى أن الوقف عند جملة (أجرموا) لتبدأ جملة (كان)، ويمنع
الوقف عند (حقاً) لتبدأ جملة (علينا نصر) هكذا :

- فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً .

- علينا نصر المؤمنين .

والمعنى فى الحالتين واحد وهو الانتقام من المجرمين ونصر
المؤمنين .

- قوله عز ر " لك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (٣).

(١) سورة القصص ٦٨/٢٨ .

(٢) سورة الروم ٤٧/٣ .

(٣) سورة البقرة ٢/٢ .

حيث يمنع الوقف على (لا ريب) مستشهدا بقوله سبحانه : " لا ريب فيه من رب العالمين " (١) ، وهو هنا يناقض نفسه إذ إنه رأى وقفا على (لا ريب) . لكنه قيده بعدم الوقف على (فيه) ، وهو ما عرف بالمراقبة (٢) .
ومع ذلك فلا غشاضة من الوقف على (لا ريب) أى (لا شك) ، ثم تبدأ جملة جديدة خبرها مركب حرفى مقدم وجوبا هى (فيه هدى للمتقين) .
أما ما أحسن فيه ابن الجزرى فهو كراهة الوقف على الفعل (تسمى) من قوله تعالى (عينا فيها تسمى سلسبيلا) (٣) ، ثم تبدأ كلمة (سلسبيلا) التى تقول بجملة فعلية هى (سل سبيلا) ؛ أى اسأل طريقا . وقد علل كراهة ذلك بأنه تحريف للمعنى يبطله إجماع المصاحف على كتابتها كلمة واحدة .

هذه هى الأوقاف التى منعها ابن الجزرى ورآها تصفا وإغراضا للنص ، ولا نجد فى منعها نصا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أصحابه من بعده . ناهيك عن أنها لا تحرف المعنى ولا تبدله ولا تغيره . بل يظل السياق القرآنى كما هو ، مع احتمال الآيات للمعنيين دون مساس بقدسية القرآن العظيم . بل إنى لأذهب إلى أن هذا الاختلاف من مظاهر الإعجاز فيه .

ولعل ما يعضد هذا رأى أن ابن الجزرى لم يسند هذه الآراء إلى أحد ، ولو وجد غيره قال بذلك لنكره ، ولو وجد دليلا من السنة أو الإجماع

(١) سورة المجدة ٢/٣٢ .

(٢) انظر ص ٨٨ من " الكتاب " .

(٣) سورة الإنشراح ١٠٦/٧٦ .

لذكره أيضا، بل إنه لم يذكر إلا إجماع المصاحف على كتابة (سليلا) كلمة واحدة وهو ما نوافقه عليه .

على حين جاتبه الصواب في آية أول البقرة (لا ريب) ، ومع ذلك فقد استشهد بأول السجدة (لا ريب فيه من رب العامين) ولذلك فقد ختم رأيه بقوله (يعرف أكثره بالمسبوق والسبق) (١) .

(١) النشر في القراءات ٢٣٢/١ .

الوقف وخط المصحف

للغة جوانب متعددة منها جانبان رئيسان هما المكتوب والمنطوق، ومن البدهى أن نطق أية لغة سابق على كتابتها، بل إن هناك كثيرا من اللهجات واللغات مازالت غير مكتوبة.

وبالنسبة للغة العربية نجد أن أقدم نص مكتوب هو القرآن الكريم وقد كتب ذلك متفرقا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجموعا بدءا من عهد أبي بكر الصديق. أما الشعر الجاهلي فقد ظل ينقل شفاهيا حتى مرحلة التدوين في العصر العباسي الأول والثاني، عندما بدأت كتابته. وهناك تأثير بين الجانبين المنطوق السابق والمكتوب اللاحق في القرآن الكريم؛ مع تغليب جانب المنطوق إذ إنه هو الأصل حيث نزل منطوقا من لسان جبريل إلى أذن النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت هناك مقولة ترى أن هناك خطين لا يقاس عليهما هما خط المصحف والخط العروضي، فسوف نحاول دراسة العلاقة بين الخط الأول ونطقه وبخاصة في حالة الوقف. وإذا كان الوقف في اللغة العربية له قانون خاص فهو على المجرور والمرفوع والمنصوب يكون بالسكون إلا المنون المنصوب فهو بفتحه طويلة، فإنا نجد كثيرا من رؤوس الآيات المتحركة بكسرة ياء المتكلم أو ياء المضاف إليه قد كتبت بدونها؛ وذلك مراعاة للوقف عليها بالسكون، ومن ذلك:

- قوله تعالى: "ربنا وتقبل دعاء" (١) وأصلها (دعائى).

- قوله تعالى: "فبشر عباد" (٢) وأصلها (عبلاى).

(١) سورة إبراهيم ٤٠/١٤.

(٢) سورة الزمر ١٧/٣٩.

-- قوله تعالى : " كَذَّبَ الَّذِينَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ " ^(١) وأصلها (وتعدى) .
- قوله تعالى : " وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى وَلَظَّى " ^(٢) وأصلها (ونذرى) .
ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فحذفت هذه الياءات وسط الآية لا
عند رأسها وذلك مثل :

- قوله سبحانه : " أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا " ^(٣) وأصلها
(الداعى . دعلى) كما حذفت لامات الأفعال الناقصة أيضا مثل :
- قوله سبحانه : " وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْخَيْرِ " ^(٤) وأصلها (يدعو) .
- قوله سبحانه : " يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرَ " ^(٥) وأصلها (يدعو
الداعى) ^(٦) .

وهاء السكت أيضا ما هي إلا أثر من الآثار التي تركها المنطوق في
المكتوب ، وهذه الهاء تجتلب للوقف عليها ؛ ففى الكلمات ذات المقطع
للقصير المفتوح آخرها ؛ حيث تكره الفصحى هذا المقطع لو أخر الكلمات ^(٧) ،
ولذلك تغلقه بهذه الهاء الساكنة ^(٨) ، ويكثر ذلك فى لفعل اللغيف المفروق
حالة الأمر ؛ مثل :

-
- (١) سورة ق ١٤/٥٠ .
(٢) سورة القمر ١٨/٥٤ ، ٢١ ، ٣٠ .
(٣) سورة البقرة ١٨٦/٢ .
(٤) سورة الإسراء ١١/٧ .
(٥) سورة القمر ٦/٤٥ .
(٦) البرهان فى علوم القرآن ٣٧٦/١ .
(٧) انظر : المنخل إلى علم اللغة ٢٥٧ .
(٨) انظر : شرح المفصل ٤٥/٩ ، ٨٥ والإيضاح فى مسائل الخلاف ٥٧٢/٢ مسألة رقم ٧٨ .

أما للقراء فلم يفتن إلى ذلك، بل جعل الهاء في (يتسنه) من قوله بعته مستهية تثبت وصلاً ووقفاً ، ومن وصله بغير هاء جعله من المسناة ؛ لأن (سنة) تعقب عليها الهاء والواو ... وإن قرئتها في الوصل على وجهين تثبت الهاء وتجزمها ، وإن حذفتها (١) .

ونجد عكس ذلك وهو تأثير الخط في الوقف، أي تأثير المكتوب في المنطوق ، وعندنا صر " خط المصحف هو الإمام الذي يعتمد للقرآن في الوقف والتمام ولا يعدو رسومه ولا يتجاوز مرسومه " (٢) . وقد جاء ذلك في مرحلة لاحقة، بدأت فيها المؤلفات في الوقف والابتداء حيث تفيد أصحابها بخط المصحف، فكان لهم هادياً في معرفتهما . وفي ذلك يقول أبو جعفر النحاس - في معرض حديثه عن قوله تعالى " ألم (٣) " .

قال الأخفش سعيد بن مسعدة ألف تمام ولام تمام ، ومذهب أبي عبيدة أن مجازها مجاز حروف الهجاء ، ومذهب الكسائي أنها حروف التهجي ، فهذا قول وليس عندي بصواب ؛ لأنها في المصحف موصولة فيجوز قطعها ، كما لا يجوز مخالفة ما في المصحف (٤) .

يتضح من هذا النص أن الخط قد اكتسب قسمة معينة لا تجوز مخالفتها، ومع ذلك يصل النحويون عقولهم في تأويل الوقف عند تحويل هذا المكتوب إلى منطوق فعلي ، فيرى الأخفش الأوسط أنه يمكن الوقف على الألف والوقف على اللام والوقف على الميم ويسقده في ذلك أبو عبيدة

(١) معاني القرآن ١٧٢/١ ، ١٧٣ ، وانظر تحف فضلاء البشر ١/٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٣٧٦ .

(٣) سورة البقرة ١/٢ آل عمران ١/٣ والعنكبوت ١/٢٩ والروم ١/٣٠ ولقمان ١/٣١ والسجدة ١/٣٢ .

(٤) القطع والانتفاء ١/٣٤ .

الذى يرى أنها حروف هجاء أى أسماء فونيمات (الف - لام - ميم)، على حين يرى الكسائى أنها حروف تهج، أى فونيمات لكل فونيم استقلاله السمعى والنطقى أى (أ - ل - م) ^(١) ولذلك يجب الوقف على كل منها عندهم، ويختلفهم فى ذلك أبو جعفر النحاس فيرى أنها مكتوبة فى المصحف موصولة هكذا " ألم " ولا يجوز قطعها موافقة لهذا المكتوب، ويعضد رأيه القائل بعدم الوقف عند كل فونيم على حدة من هذه الفونيمات المقطعة أوائل بعض السور إلا (حم عسق) ^(٢) بقوله " العلة فى قطعها دون غيرها أن الحواميم سبع ^(٣) فلما تكررت زيد فى إحداهن شئ كان منفصلاً ^(٤) .

إنه يريد أن يعزل قطع (حم) عن (عسق) فيرى أنها زائدة عن بقية السور المبدوءة بالفونيمين (ح - م) بفونيمات أخرى هى (ع - س - ق) ولذلك تميزت عن غيرها بالوقف بينهما . ونحن نرى أن علة الوقف هنا هو فصل (حم) عن (عسق) بالفاصلة القرآنية والوقف على رؤوس الآيات مقلطع كما سبق ، ولذلك يوقف بين الآيتين .

(١) اسم الفونيم هو ما يميز فونيمًا عن آخر، ويبدأ اسم الفونيم بالفونيم المطلق عليه؛ فمثلاً (ل) هى (لام)، أما التحقق السمعى والنطقى للفونيم فهو نطقه وسمعه؛ فاللام مثلاً هى لام ساكنة مسبوقة بهمزة وصل (أل)، وقد فطن إلى شئ قريب من ذلك الزركشى فى البرهان؛ انظر ١/٧٧٢ . نظر : دراسة صوتية صرفية فى لهجة الواحات الخارجة ٢٨ .

(٢) سورة الشورى ٤٦ / ١٠ .

(٣) الحواميم هى السور المبدوءة بالفونيمين (ح - م) وهى على التوالي : (غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف) .

(٤) انقطع والاشتاف ١/٣٤ .

كما نجد تأثير المكتوب على الوقف الذي هو منطوق أيضا فيما أورده الفراء في معرض حديثه عن قوله تعالى : " فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكُونُونَ فِيهِمْ حُجَّتٌ " (١) فيقول : " (فَمَالِ) كثرت في الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة بـ (ما) وأنها حرف في بعضه ، ولا تصل للقراءة لا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خلتصة " (٢) .

وهنا تبدو رؤيتان :

الأولى : كثرة استخدام اللام مع (ما) في النطق حتى توهم المتكلم والسماع أنهما حرف واحد ، أي أداة واحدة فكتبنا معا (مال) ، وهنا يبدو تأثير المنطوق في المكتوب .

الثانية : قراءة القراء كلمة (هؤلاء) موصولة باللام قبلها ؛ فهما مركب حرفي (جار ومجرور) ، ولذلك لا يمكن الفصل بينهما وهو تأثير للمنطوق أيضا في المكتوب .

وقد تنبه بعض اللغويين إلى العلاقة بين الخط والوقف ؛ أي بين المنطوق والمكتوب للغة القرآن الكريم ، ففرى للقراء في حديثه عن قوله تعالى (اهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتكم) (٣) يقول : " فإن شئت جعلت الألف التي في (مصرأ) ألفا يوقف عليها ، فإذا وصلت لم تتون فيها كما كتبوا (سلاسل) (٤) و (قوارير) " بالالف (٥) .

(١) سورة النساء ٧٨/٤ .

(٢) معاني القرآن ٢٧٨/١ ولم يتنبه إلى ذلك الزركشي بل عطل تعليلات حسب الظاهر والملكوت لنظر البرهان في علوم القرآن ٤٢٢/١ وانظر إتخاف فضلاء البشر ١٠٥/١ ، ٢٣٧ .

(٣) سورة البقرة ٦١/٢ .

(٤) سورة الإسراء ٤/٧٦ والآية هي " إنا أعنتنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا " .

فهو يرى أن كلمت (مصرا - سلاملا - قواريرا) منونة ويوقف
عليها بالفتحة الطويلة (الألف) إذ إن التثوين بالفتحة عند ما يوقف عليه
يتحول إلى فتحة طويلة ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فنطقت فتحة طويلة
في الحالتين وصلا ووقفا .

ونراه في موضع آخر لا يعل حذف ياء (عبلا) في قوله تعالى " فبشر عبلا " (٣) فيقول : " فإن هذه بغير ياء فلا تنصب بأوها ، هي
محنوقة (١) .

وفي كلامه هذا يبني تعليله في حذف الياء على صورة الكلمة
المكتوبة (عبلا) في المصحف دون ياء ؛ دون فطنة إلى أنها رأس آية
والوقف عليها سنة ، فتحول كسرة الدال الطويلة (الياء) إلى مكون .

وإذا كان القراء قد تنبه إلى طبيعة هذه العلاقة في الآية الأولى ولم
ينتبه إليها في الآية الثانية فإن بدر الدين الزركشي لم ينتبه إليها ألبيته (٥) بل
علل فيها اختلاف منطوق القرآن عن مكتوبه فقال : " واعلم أن الخط جرى
على وجوه منها ما زيد عليه في اللفظ بومنها ما نقص ومنها ما كتب على

(١) سورة الإنسان ١٥/٧٦ ، ١٦ والآيتان هما (وبطلف عليهم بآية من فضة ولكواب
كانت قواريرا قوارير من فضة فكروها تقديرًا)

(٢) معاني القرآن ٤٣/١ .

(٣) سورة الزمر ١٧/٣٩ .

(٤) معاني القرآن ٢٩/١ ونظر أيضا ٢٠٠/١ - ٢٠١ ونظر : تحلف فضلا لبشر ٨٩/١ .

(٥) لاحظ أنه قد تنبه إلى هذه العلاقة عند حديثه عن هاء المكنت ، انظر ص ١٢٣ من
هذا الكتاب .

لفظه وذلك لحكم خفيه وأسرار بهية^(١) ثم يفصل هذه الحكم والأسرار
فينقل عن أبي العباس المراكشي :^(٢)

" أن هذه الأحرف إنما اختلفت حالها بحسب اختلاف أحوال معلى
كلماتها ، ومنها التنبيه على العوالم الغلب والشاهد ومراتب الوجود
والمقامات^(٣) . وأكثر ما نكره في ذلك غير متعلق بموضوعنا اللهم إلا ما
استشهدنا به آنفا من حذف الباءات ولامات الأفعال للنقص^(٤) . فقد كرر
مقولة أبي العباس أن حذف الباء اكتفاء بالكسرة " هو باعتبار ملكوتى
باطن^(٥) .

وبدل علو ذلك بالأمثلة التالية :

عند شرحه لحذف ضمير المفعولية في الفعل (دعلى) ليصير
(دعان)^(٦) يقول : " فحذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذى من
جهة المنكوت بإخلاص الباطن^(٧) .

وفى قوله تعالى : " ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد^(٨) " يقول :
" ثبتت الباء فى (المقام) باعتبار المعنى من جهة الملك ، وحذفت من

(١) البرهان فى علوم القرآن - ٣٨١ .

(٢) أبو عباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء (ت ٧٢١هـ) .

(٣) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٨٠ - ٣٨١ .

(٤) انظر ص ١٣١، ١٣٢ من هذا الكتاب .

(٥) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٩٩ .

(٦) سورة البقرة فى علوم القرآن ٢/١٨٦ .

(٧) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٨) سورة إبراهيم ١٤/١٤ .

(الوعيد) لاعتباره ملكوتيا فخاف المقام من جهة ما ظهر للأبصار وخاف
الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار (١).

وفى قوله سبحانه : " إني أخاف أن يكذبون " (٢) يقول " خاف
موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاءهم به، وأن يكون سببه من قبله؛
من جهة إفهامه لهم بالوحي، فإنه كان عالى البيان، ولأنه كلم الرحمن
فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم فيصير إلفاحه العالى عند فهمهم النازل
عقدة عليهم فى اللسان يحتاج إلى ترجمان فإن لم يجدوه تكذيب فيكون
من قبل أنفسهم وبه تتم الحجة عليهم (٣).

ولو فطن الزركشى أو ابن المراكشى لعلاقة الخط بالوقف والابتداء
لوجدنا فى تعليلهما لهذا الحذف كلاما آخر .

(١) البرهان فى علوم القرآن ٤٠٠/١ .

(٢) سورة الشعراء ١٢/٢٦ .

(٣) البرهان فى علوم القرآن ٤٠١/١ .

الخاتمة

لا يخرج البحث فيما سبق عن بيان وجهة نظر لسانية في آراء العلماء في الوقف والابتداء؛ هذه الآراء التي انبثقت من ولاء للقرآن العظيم في محاولة لفهم التراكييب والجمل القرآنية وعلاقة بعضها ببعض . وإذا كانت آراء هؤلاء العلماء قد اختلفت فيما بينها اختلافا كثيرا؛ حتى لا نكاد نجد اثنين منهم قد اتفقا في الأقسام أو التعريفات؛ فإن هذا الخلاف راجع إلى عدم وجود نصوص صريحة من السنة النبوية المباركة في ذلك .

بل ما ورد هو الفصل بين آية الرحمة وآية العذاب والوقف على رؤوس الآي ، ومع ذلك لم نجد حديثا واحدا في الصحيحين (البخاري ومسلم) يدل على ذلك . من هنا يمكننا الحكم بأن هذه الآراء كلها اجتهادات شخصية ليس فيها طعن في الدين ولا في القرآن الكريم، فكل منهم وجه نظره الشخصية التي استنبطها ممن سبقه من العلماء أو من خلال ممارسته للقراءات أو من خلال فهمه للنص الكريم .

كما رأينا اختلاف اللغويين والقراء في تلك الوقف، وأرجعنا ذلك الخلاف إلى إعمال "بين القاعدة اللغوية في النص العظيم دون التقيد بالمأثور في ذلك ، ولعل عبارتهم التي رددوها كثيرا تليق على ذلك هي قولهم (إن شئت جعلتها ... وإن شئت جعلتها) أو (ولك الوجهان فيها) .

وبينا أن علما واحد لا يعرض بمفرده ولا يبحث وحده، بل لابد من الاستعانة بطوم أخرى؛ فالوقف والابتداء علاقة بالنحو والفقه والتفسير والقراءات والخط أو رسم المصحف؛ حيث يؤثر الخط في الوقف ويؤثر

في ذلك الوقت ، وقد نلاحظ أن تأثير الوقف في البحث من تأثير الأخير
في ذلك .

ولعل كثرة المؤلفات في ذلك العلم حيث زالت على العتق مؤلفا -
تدل على اهتمام السلف به ، على حين أن قلة ما حقق يدل على عدم اهتمام
العلماء المحدثين به . يدل على ذلك أيضا قلة الدراسات التي قامت ببحث
هذا الموضوع ؛ حيث قلل ينحصر إلى أن جاء في شكل علامات معينة أو
اصطلاحات توضع فوق خط المصنف مثل : " قلى - صلى - لا - م -
قب - ج " .

المراجع العربية

- ١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ أحمد البهساء، ت : د. شعبان إسماعيل - القاهرة ١٩٨٧ م .
- ٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي - بيروت ١٩٧٣ م .
- ٣- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض لأبي سعيد السيرافي ت : د . محمد إبراهيم البنا - القاهرة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٤- الأساليب الإنشائية في النحو العربي - عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٥- اصطلاحات الصوفية - عبد الرازق الكاشاني - ت : د . عبد الخالق محمود - دار المعارف القاهرة ط ٢ ١٩٨٤ م .
- ٦- الأصمعي اللغوي - د. عبد الحميد الشلقاني - القاهرة ط ١٩٨٢ م .
- ٧- الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس - القاهرة ط ٦ ١٩٨١ م .
- ٨- إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلي - القاهرة ط ١٩٨٧ م .
- ٩- إملأ ما من به الرحمن من وجه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري - بيروت ط ١ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ١٠- إنباه الرواة على أتباه النحاة للقطبي - ت : محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٩٥ م .
- ١١- الإنصاف في مسائل الخلاف - لابن الأثير ت : محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٦ م .
- ١٢- الإيضاح في علل النحو للزجاجي - ت : د . مازن المبارك - بيروت ط ٤ - ١٩٨٢ م .
- ١٣- بحوث ومقالات في اللغة - د. رمضان عبد التواب - ط ١ القاهرة ١٩٨٢ م .

- ١٤- البدور الزاهرة فى القراءات العشر المواترة - عبد الفتاح القاضى -
القاهرة ١٩٥٥ م.
- ١٥- البرهان فى علوم القرآن لبدى الدين الزركشى - ت : أبو الفضل
إبراهيم - القاهرة ١٩٥٧ م.
- ١٦- بناء الجملة فى لهجة الواحلت الخارجة - د . أحمد عارف حجازى
رسالة دكتوراه مخطوطة بآداب عين شمس ١٩٨٨ م .
- ١٧- تاريخ التراث العربى - كارل بروكمان ت : د . عبد الحليم النجار -
القاهرة - د . ت .
- ١٨- تسهيل للفوائد وتكميل المقاصد لابن ملك - ت : محمد كامل بركات
- القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٩- التعريفات للجرجاني - استنبول ط ١٢٧ هـ .
- ٢٠- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لإسماعيل بن كثير الدمشقى -
ط - القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢١- تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى قرآن) لابن جرير
الطبرى ت : محمد شلكر - القاهرة ط ١٩٧١ م .
- ٢٢- تفسير القرطبي (للجامع لأحكام القرآن) - للإمام القرطبي - القاهرة
د . ت .
- ٢٣- تفسير التيسلبورى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للتيسلبورى
على هامش تفسير الطبرى - ، بيروت ط ١٩٧٢ م .
- ٢٤- للتفسير الوسيط - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - القاهرة - فى
أجزاء متتابعة منذ ١٩٨٠ م .
- ٢٥- تهنيد التوضيح - لأحمد مصطفى المراغى ومحمد سالم على - ط
١٣ القاهرة د . ت .

- ٢٦- الجامع الصغير فى النحو لابن هشام المصرى - ت : د. أحمد الهرمىل
- القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢٧- الجمل فى النحو : لأبى القاسم الزجاجى - ت : د . على توفيق -
بيروت ط ٢ ١٩٨٥ م .
- ٢٨- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل - للشيخ محمد الخضرى -
القاهرة د . ت .
- ٢٩- الخصائص لابن جنى - ت : محمد على النجار - بيروت ط ٢ د . ت .
- ٣٠- دراسة صوتية صرفية فى لهجة الواحات الخارجة - د . أحمد عارف
حجازى - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب عين شمس ١٩٨٦ م .
- ٣١- دلائل الإعجاز فى علم المعانى لعبد القاهر الجرجانى- ت : الإمام
محمد عبده وآخرين - القاهرة ط ٦ ١٩٦٠ م .
- ٣٢- دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ط ٤ ١٩٨٠ م .
- ٣٣- دور الكلمة فى اللغة - استفين أو لمان - ت : د . كمال بشر -
القاهرة ط ٢ ١٩٦٩ م .
- ٣٤- سنن أبى داود - لأبى داود المسجستنى - ت : محبى الدين عبد
الحميد - بيروت د . ت .
- ٣٥- سنن الترمذى (الجامع الصحيح) لأبى عيسى الترمذى - ت : عبد
الوهاب عبد اللطيف بيروت ط ٢ ١٩٨٣ م .
- ٣٦- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى - القاهرة
١٩٧٩ م .
- ٣٧- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ومعه الشواهد للعينى - القاهرة
د . ت .

- ٣٨- شرح السيوطى على ألفية ابن مالك لجلال الدين السيوطى - القاهرة
د . ت .
- ٣٩- شرح التلمع لابن برهان العكبرى - ت : د . فخر فارس - الكويت ط ١
١٩٨٤ م .
- ٤٠- شرح المفصل لابن يعش - القاهرة د . ت .
- ٤١- طبقات ابن سعد (الطبقات الكبرى) - القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٤٢- طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطى - ت : على محمد عمر -
القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٤٣- طبقات المفسرين لشمس الدين الداودى - ت : على محمد عمر
- القاهرة ١٩٧٢ م .
- ٤٤- طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى - ت : أبو الفضل
إبراهيم - القاهرة ط ٢ د . ت .
- ٤٥- العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد - هنرى فليش - ت : د . عبد
الصبور شاهين - بيروت ١٩٦٦ م .
- ٤٦- علم الدلالة العربى - د . فايز الداية - القاهرة د . ت .
- ٤٧- علم اللغة العلم - دى سومير - ت : زوتيل يوسف عزيز - بغداد -
د . ت .
- ٤٨- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام المصرى - ت : محيى الدين عبد
الحميد - بيروت ١٩٨٤ م .
- ٤٩- القطع والانتف لأبى جعفر النحاس ت : الخطيب آل صر - رسالة
ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٥٠- الكافية فى النحو لابن الحاجب ، شرح رضى الدين الاسترلاباذى -
بيروت ط ٢ ١٩٨٢ م .

- ٥١- الكتاب نسيبويه - ت : عبد السلام هارون ط٢ - القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٥٢- لسان العرب لابن منظور المصري - طبعة مصورة عن طبعة بولاق - القاهرة د . ت .
- ٥٣- اللسان والإنسان - د . حسن ظاظا - الإسكندرية ١٩٧١ م .
- ٥٤- اللغة - جوزيف فنديس - ت : للدولخلى والقصاص - القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٥٥- اللغة بين العقل والمقامرة - د . مصطفى مندور - الإسكندرية د . ت .
- ٥٦- محاضرات في الوقف - محمد أبو زهرة - ط٢ ١٩٧١ م .
- ٥٧- المختل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى - د . رمضان عبد التواب - ط١ - القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٥٨- المزهرة في علوم اللغة لجلال الدين السيوطى - ت : محمد جواد المولى وآخرين - القاهرة د . ت .
- ٥٩- المصاحف لأبى بكر السجستى - القاهرة ط ١٩٨٦ م .
- ٦٠- معلى القرآن لأبى زكريا الفراء - ت : يوسف شجاعى ومحمد النجار - القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٦١- معجم الأنباء لياقوت الحموى - القاهرة ط٣ ١٩٨٠ م .
- ٦٢- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض - د . محمد إبراهيم عبادة - ت : القاهرة د . ت .
- ٦٣- مقى اللبيب عن كتب الأعريب لابن هشام المصرى - ت : محبى الدين عبد الحميد - القاهرة د . ت .
- ٦٤- المقصد لتلخيص ما فى المرشد لأبى يحيى الأنصارى - على هامش كتاب (منار الهدى) - القاهرة ط٢ ١٩٧٣ م .

- ٦٥- منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء للأشمونى - القاهرة ط٢
١٩٧٣ م .
- ٦٦- مناهج البحث فى اللغة - د . تامل حسان - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٦٧- المتنصف شرح التصريف لابن جنى - ت : إبراهيم مصطفى وعبد الله
أمين - القاهرة ط١ ١٩٥٤ م .
- ٦٨- للنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - ت : على محمد الضباع -
بيروت د . ت .
- ٦٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى - ت : بدر الدين
النصلى - بيروت د . ت .
- ٧٠- الوافى بالوفيات للصفدى - القاهرة د . ت .

المراجع الأجنبية

- N. Chomsky; Aspects of the Theory of Syntax U.S.A ١٩٧٦.
N. Chomsky; Cartesian linguistics; Longman; New yourk;
١٩٦٩.
N. Chomsky; Language and Mind; U.S.A ١٩٧٢.
R. Fowler; An Introduction to Transfor mational Syntax;
London ١٩٧٧.
R. Wordhaugh; Introduction to Linguistics; U.S.A ١٩٧٧.

الصفحة	الموضوع	الفهرست
	مقدمة	
٩		
١٣	الفصل الأول تعريف المصطلحات	
١٦	الدلالة اللغوية	
١٧	الدلالة الاصطلاحية	
١٩	الوقف في غير القرآن الكريم	
٢٣	الفصل الثاني تاريخ الوقف والابتداء	
٢٥	في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم	
٢٧	في عهد الصحابة والتابعين	
٣٥	الفصل الثالث (كتب الوقف والابتداء)	
٤٧	الفصل الرابع (أنواع الوقف من وجهة نظر المؤلفين فيه)	
٥٠	١- أبو بكر بن الأكياري	
٥٣	٢- أبو جعفر النحاس	
٥٧	٣- ابن طيفور السجاوندي	
٧٣	٤- ابن جزى الكلبي	
٨٧	٥- بدر الدين الزركشي	
٩٠	٦- أبو الخير بن الجزري	
١٠٣	٧- جلال الدين السيوطي	
١٠٤	٨- الأشعموني	
١٠٩	الفصل الخامس (علاقة الوقف بغيره من العلوم)	
١١٢	لوقف والقراءات	
١١٨	الوقف والتفسير	

١٢٣

١٢٥

١٣١

١٤٠

١٤٢

١٤٨

الوقف والفقہ

الوقف والنحو

الوقف وخط المصحف

الخاتمة

المراجع

الفهرس